التغير

مفهومه - وأنواعه - وأسبابه
والآثار المترتبة عليه

كتبه

أبو عبد الله

منار بن أحمد بن فارع العديني

الداعية بالمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالجبيل

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور

خالد بن علي المشيقح

الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة القصيم

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع

التغير

التغيير

مفهومه - وأنواعه - وأسبابه

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

احمد ، منار احمد فارع
التغيير - مفهومه - وأنواعه - وأسبابه والآثار المترتبة عليه
منار احمد فارع احمد .- الرياض ، ١٤٣٩هـ
١٩٢ ص ؛ ١٧*٢٤ سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٧٧٥٠-٦
١- التغير الاجتماعي أ.العنوان
ديوي ٣٠١,٢٤ ١٤٣٩/١٠٣٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٩/١٠٣٨٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٧٧٥٠-٦

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق
الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١١٥٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢
جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩
البريد الالكتروني: d.alhijaz@gmail.com

التغيير

مفهومه - وأنواعه - وأسبابه
والآثار المترتبة عليه

كتبه
أبو عبد الله
منار بن أحمد بن فارع العدني
الداعية بالمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالجبيل

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور
خالد بن علي المشيقح
الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة القصيم

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور
خالد بن علي المشيقح
حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد:

فأفيد بأني قرأت في رسالة (التغيير، مفهومه، وأنواعه) للشيخ هذاع بن أحمد العارضي

فألفيتها رسالة قيمة، بين فيها أنواع التغيير من القبيح إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن وغير ذلك، واستدل على ما يبحث من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك بمعنى واضح وعبارة واضحة نفع الله بها كاتبها وقارئها، وبالله التوفيق

وكتبه

د/ خالد بن علي المشيقح

١٤٢٩/١/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله تعالى الذي وفَّق عباده للسير على طريق الصلاح والخير والتغيير، وحذرهم من السير على طريق الشر والفساد أيما تحذير، وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وهو العلي الكبير، القائل لعباده العائدين إلى الطريق المستقيم: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، المرشد لطريق النجاة والفوز الكبير: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

أما بعد: فإن الكلام عن التغيير هو الكلام عن منهج حياة للإنسان الذي لا يفارقه في مراحل حياته كلها؛ فالإنسان إما في تغيير فيرقى إلى الحسن والفضائل، أو في تغيير فيشقى بالقبح والرذائل، فهو في تقدم بالخير، أو تأخر بالشر، قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٧].

أي: لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم في طاعة الله، أو يتأخر بمعصية الله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسير قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ

يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ [المدثر: ٣٧]: «من شاء اتبع طاعة الله، ومن شاء تأخر عنها»[(١)].

وهذا التقدم والتأخر له آثار تعود إلى العبد؛ فبالتقدم يسعد الإنسان برضى الرحمٰن، ودخول الجنان، وبالتأخر يشقى الإنسان، ويعذب بالنيران.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الشريعة ولا في الطبيعة توقف البتة، فإذا شغل العبد وقته بعبودية، تقدَّم إلى ربِّه، وإن شغله هوى أو راحة أو بطالة، تأخَّر»[(٢)].

ولما كان هذا الموضوع بهذه الأهمية، وأن أهميته لا تنحصر بزمن دون زمن؛ بل تشمل جميع مراحل حياة الإنسان، أحببت أن أكتب عن هذا الموضوع لبيانه وبيان أنواعه، وأسبابه، وما يترتب عليه من آثار تعود على الإنسان.

وقد يكون هذا الموضوع قد ذكر مفرقاً في بطون الكتب والمؤلفات للعلماء النجباء، أو على ألسنة الفصحاء والخطباء، أو في مقالات الكتَّاب والأدباء.

ولا أعلم أن هناك من تكلم عن هذا الموضوع مجموعاً في كتاب، ليطلع عليه أولو الإيمان والعقول والألباب؛ فيبادرون في التغيير إلى ما أراده منهم العلي الكبير، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإني أشكر شيخنا فضيلة الدكتور خالد بن علي المشيقح ـ حفظه الله تعالى ـ على ما تفضل به من قراءة هذا الكتاب، ومدحه له بأحسن

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥)، وكذلك عن قتادة.
(٢) الفوائد لابن قيم الجوزية (ص١٩٣).

تقديم وخطاب، فجزاه ربي جزيل العطاء والثواب، إن رب كريم جواد وهَّاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه خير الآل والأصحاب.

كتبه
أبو عبد الله
منار بن أحمد بن فارع العدني
الداعية بالمكتب التعاوني للدعوة
والإرشاد بالجبيل
١٤٣٨/١/٢٠م

سبب التأليف

وكان من دوافع الكتابة في هذا الموضوع أسباب ثلاثة:

السبب الأول: أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان، وتكمن أهميته في كون التغيير يطرأ على الإنسان في وقت مبكرٍ، فهو يبدأ مع الإنسان منذ أن يكون صغيراً، كما أشار إلى ذلك نبينا ﷺ حين قال: **«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»**(١).

فجرى عليه التغيير عن الفطرة السليمة، وصُرف عنها إلى غيرها منذ صغره ونعومة أظفاره.

وهذا التغيير الذي يطرأ على الإنسان قد يكون تغييراً من القبيح إلى الحسن، وقد يكون تغييراً من الحسن إلى القبيح، ـ والعياذ بالله تعالى ـ، فالأول مطلوب شرعاً، بينما النوع الثاني ممنوع شرعاً، وسوف يتبين لك ذلك جليّاً بالأدلة من الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة.

السبب الثاني: أردت من كتابة هذه السطور تبيين مفهوم التغيير المطلوب شرعاً، والذي يجب على العباد السعي إليه، والالتزام به، وتبيين التغيير الذي لا يرضاه الله لعباده، والذي يجب على العباد البعد عنه، وعدم السعي إليه؛ بل وتحذير البشرية منه.

السبب الثالث: أردت تبيين الخلط والخبط الذي وقع فيه كثير من

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٨٥)، ومسلم برقم (٢٦٥٨).

دعاة التغريب والتحرير، ودعاة الخروج والتكفير، لا سيما وأنهم قد فَهموا التغيير بمفاهيم معكوسة وآراء منكوسة؛ كفهمهم أن التغيير هو تغيير الثوابت والمبادئ والقيم، أو الانسلاخ من الدين والمروق منه، أو الخروج على ولاة أمور المسلمين، أو تهييج الشعوب على حكوماتها، أو إحداث المظاهرات والفتن في البلاد، وكل هذه المفاهيم للتغيير مخالفة لما عليه عقلاء وعلماء الأمة الإسلامية، وما واقعنا المرير التي تمر به أمتنا الإسلامية من الحروب والتضييق على أهل الصلاح والدين خاصَّة، وعلى الشعوب عامة، إلا لأسباب منها: تفعيل هذا المفهوم الخاطئ للتغيير على تلك الشعوب، لتصادم حكوماتها، فأصابها ما أصابها من البلاء الذي لم يكن في حسبان هؤلاء، وعدم وقوع الرخاء الذي ظنه دعاة التغريب والتحرير، أو دعاة الخروج والتكفير.

فكان لا بد من تصحيح المفاهيم لمعنى التغيير الشرعي الذي أراده الله من خلقه وعباده؛ ليتبين المعنى الدخيل على هذا المصطلح ممن حصر معناه على تلك المجالات المظلمة، التي ما كانت يوماً من الأيام سبباً في التحسين والتغيير إلى الخير؛ فالواقع خير شاهد على كذب دعواهم، والأدلة الشرعية ترد عليهم.

فالله أسأل أن تكون هذه المشاركة خالصة لوجهه الكريم، نافعة لعباده المسلمين، مصححة لكثير من الأفكار والمفاهيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الشفيع الرحيم، وعلى آله وصحبه أهل المنهج القويم.

خطة البحث

قد رأيت أن أقسم هذا الكتاب إلى مقدمة، وسبب التأليف، وإلى سبعة فصول، وكل فصل منه يحتوي على مباحث، فكان ترتيبه على النحو التالي:

المقدمة.

أسباب التأليف في هذا الموضوع.

الفصل الأول: التغيير.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التغيير وبيان مفهومه.

المبحث الثاني: الألفاظ ذات العلاقة بلفظ التغيير.

المبحث الثالث: المراد بالحسن والقبيح في باب التغيير.

الفصل الثاني: أنواع التغيير.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تغيير القبيح بالحسن.

المبحث الثاني: تغيير من الحسن إلى الأحسن.

المبحث الثالث: تغيير الحسن بالقبيح.

المبحث الرابع: تغيير من القبيح إلى الأقبح.

الفصل الثالث: أدلة التغيير.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة من السُّنَّة النبوية.

الفصل الرابع: أسباب التغيير.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب التغيير إلى الحسن والصلاح.

المبحث الثاني: أسباب التغيير إلى القبح والفساد.

المبحث الثالث: أسباب التغيير المشتركة.

الفصل الخامس: الأمثلة على التغيير.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أمثلة التغيير للأفراد والشخصيات.

المبحث الثاني: أمثلة التغيير للأقوام والمجتمعات.

الفصل السادس: الآثار المترتبة على التغيير.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الآثار الطيبة.

المبحث الثاني: الآثار القبيحة.

الفصل السابع: نماذج قادهم التغيير إلى الجنة.

الفصل الثامن: خطوات تقودك للتغيير.

الخاتمة.

وبعد هذه المقدمة والعرض لمواضيع الكتاب، فإني أسأل الله تعالى المعين المنان، على عرض هذا الموضوع بأوضح بيان؛ ليظهر جليّاً للعيان، وأسأله سبحانه أن يبارك لي بهذه السطور، وأن يجعله من العمل المتقبل المبرور، إن ربي رحيمٌ غفورٌ شكور.

وإن تـجـد عـيـباً فـسـدَّ الـخـلـلَ   فـجـلَّ مـن لا عـيـب فـيـه وعـلا

الفصل الأول

التغيير

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التغيير، وبيان مفهومه.

المبحث الثاني: الألفاظ ذات العلاقة بلفظ التغيير.

المبحث الثالث: المراد بالحسن والقبيح.

المبحث الأول

تعريف التغيير وبيان مفهومه

فإنه يجدر بنا قبل الشروع في موضوع التغيير، وما يختص به من أنواع وأسباب وآثار، أن نتعرف عليه من حيث اللغة والاصطلاح فإذا نظرنا إلى التغيير من حيث اللغة، وجدنا أنه مأخوذ من غيَّر الشيء، إذا كان خلافه.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغين والياء والراء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على صلاحٍ وإصلاحٍ ومنفعة، والآخر على اختلافِ شيئين... والأصل الآخر: قولُنا: هذا الشَّيءُ غيرُ ذاك؛ أي: هو سِواه وخلافه. ومن الباب: الاستثناءُ بغَير، تقول: عَشرة غير واحدٍ، ليس هو من العَشَرة. ومنه قولُه تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]»[(١)].

وقال العلامة الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «التغيير هو إحداث شيء لم يكن قبله. وأما التغيُّر فهو: انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى»[(٢)].

وعلى هذا يمكن أن يقال: إن مفهوم التغيير يدور على معنيين اثنين: إما إحداث شيء، أو انتقال شيء.

وكلا التعريفين ينطبق تماماً على ما يطرأ على الإنسان من التغيير والتغيُّر من القُبح إلى الحُسن أو العكس، فإن من تغيَّر إلى الحُسن فقد

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة: (غير).

(٢) التعريفات للجرجاني فقرة رقم (ص٣٩٤).

أحدث الحُسن بعد إذ لم يكن، وانتقل من حالة القُبح إلى حالة الحُسن، كما أن ما يطرأ على الإنسان من التغيير والتغيُّر من الحُسن إلى القُبح، فقد أحدث القبح بعد إذ لم يكن، وانتقل من حالة الحُسن إلى حالة القبح، ـ والعياذ بالله ـ.

❊❊❊

المبحث الثاني

الألفاظ ذات العلاقة بلفظ التغيير

لا بد أن نعلم بأن هناك ألفاظاً لها صلة بلفظ التغيير، من حيث أنها تحمل نفس المعنى أو معنى مقارباً له، ومن تلك الألفاظ:

التحول: وهو مأخوذ من حَوَّل، وهو التحرُّك.

قال ابن فارس رحمه الله: «الحاء والواو واللام أصلٌ واحد، وهو تحرُّكٌ في دَوْرٍ... وحال الشخصُ يَحُول، إذا تحرَّك، وكذلك كلُّ متحوِّلٍ عن حالة»(١).

إذن من الألفاظ التي لها صلة بالتغيير، التحويل، فهو ذو ارتباط بلفظ التغيير؛ بل يفسر به، فيقال: غيَّرتُ الشيء عن حاله؛ أي: حولته عما كان عليه.

ومن الألفاظ التي لها صلة وعلاقة بالتغيير من حيث المعنى:

التبديل: وهو جعل الشيء مكان الشيء الآخر.

قال ابن فارس رحمه الله: الباء والدال واللام أصلٌ واحد، وهو قيام الشيءِ مَقامَ الشيءِ الذاهب. يقال: هذا بدَلُ الشيءِ، وبَدِيلُه. ويقولون: بدّلْتُ الشيءَ، إذا غيَّرته، وإنْ لم تأتِ له ببَدَلٍ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ [يونس: ١٥]. وأبْدَلْتُه إذا أتيتَ له ببدلٍ(٢)؛ فالتبديل من بدلت الشيء تبديلاً، بمعنى: غيرت صورته تغييراً،

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة: (حول). (٢) معجم مقاييس اللغة مادة: (بدل).

وأبدلته بكذا إبدالاً نحيت الأول، وجعلت الثاني مكانه[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ [الأنفال: ٥٣].

قال ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله، وغيَّر عليه الأمر حوَّله»[٢].

ومن الألفاظ التي لها صلة وعلاقة بالتغيير أيضاً:

النقل: وهو تحوُّل شيء مكان شيء آخر.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النون والقاف واللام: أصلٌ صحيح يدلُّ على تحويل شيءٍ من مكانٍ إلى مكان...»[٣].

فالنقل: هو تحويل الشيء من موضع إلى موضع، والأصل فيه النقل من مكان إلى مكان، وقد يستعمل في الأمور المعنوية؛ كالنقل من صفة إلى صفة، وكنقل اللفظ من الاستعمال الحقيقي إلى الاستعمال المجازي[٤].

وعليه كل هذه الألفاظ المذكورة آنفاً تشترك في معنى التغيير لغة، والذي يدور معناه حول إحداث شيء، أو انتقال شيء، كما قال العلامة الجرجاني.

❀❀❀

(١) المصباح المنير مادة: (بدل)، ولسان العرب مادة: (بدل).

(٢) لسان العرب، والمصباح المنير مادة: (غير).

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة: (نقل).

(٤) المصباح المنير مادة: (نقل)، والفروق للعسكري (ص١٣٩).

المبحث الثالث

المراد بالحسن والقبيح في باب التغيير

لقد أردت بالحَسَنِ ما يكون في الإنسان من الفطرة السليمة التي خُلق عليها، من توحيد الله، وما يتعلق بالإنسان من فعل الطاعات، والأخلاق الحسنة التي يتصف بها، وكل ما يدخل في معنى الخير والصلاح، يكون من قبيل الحسن.

كما أني أردت بالقبيح ما يطرأ على الإنسان من الكفر بالله، والشرك به، وما يتعلق بالإنسان من فعل المعاصي والذنوب، والأخلاق السيئة ـ عافانا الله منها ـ.

فالمعاصي بأنواعها قبيحة، وقد قبحها وحقرها الشرع، وكذا تأباها الفطرة السليمة، ويأباها العقل السليم، وكيف لا تكون قبيحة وهي التي يؤاخذ عليها صاحبها وتورده المهالك، وقد جاء ما يُبيِّن ذلك في أحاديث كثيرة، فعن سهل بن سعد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب؛ كقوم نزلوا في بطن وادٍ، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»[(١)].

وجاء تسميتها مهلكات في حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال:

(١) رواه أحمد برقم (٢٢٨٠٨)، والطبراني برقم (٧٣٢٣). قال العلامة الألباني: صحيح. صحيح الجامع برقم (٤٤٥١).

الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(١). والموبقات: هي المهلكات.

وأما التوحيد والطاعات والأخلاق الحسنة، فهذا كله يكون باعثاً وجالباً لكل طيب وجميل وحسن، وبه تستجلب رحمة الله تعالى ورضاه؛ بل هو سبب في دخول جنة الله تعالى، فقد جاء في الحديث القدسي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**قال الله: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيك بقرابها مغفرة»**(٢).

فانظر رعاك الله، كيف كان الرجاء والدعاء والاستغفار والتوحيد سبباً في نيل مغفرة الله ورحمته.

وكذا عموم الطاعات يظهر أثرها جليّاً على الأفراد والمجتمعات، وما العزة والتمكين والأمن والرزق إلَّا من آثار الالتزام بالإيمان والتوحيد وفعل الطاعات، والبعد عن المحرمات، ومن أعظم تلك الآثار الطيبة والجميلة التي ينالها العباد: نداء الرحمٰن بدخول الجنان، والنجاة من النيران، قال الله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ أي: بما كنتم تعملون من الأعمال كالتوحيد والإيمان بالله، وسائر الطاعات. ـ نسأل الله أن يجعلنا منهم ـ وسيأتي المزيد من تلك الآثار المترتبة على التغيير ـ بإذن الله تعالى ـ.

(١) رواه البخاري برقم (٢٦١٥)، ومسلم برقم (٨٩).
(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠). قال العلامة الألباني: صحيح.

ثم إن الناظر والمتمعن في الكتاب والسُّنَّة وكتب التاريخ والتراجم والسير؛ بل والواقع أيضاً، يرى أن التغيير الذي يطرأ على الإنسان نوعان، وكل نوع ينقسم إلى قسمين، ولكلِ نوعٍ دليله، وأمثلته، وأسبابه، وآثاره.

والغرض من معرفة العباد لهذين النوعين من التغيير: هو أن بمعرفة التغيير نحو الخير والإحاطة بأسبابه وآثاره الطيبة، يستطيع الإنسان أن يعمل به، ويدعو غيره إليه، كما أن بمعرفة التغيير نحو الشر والفساد والإحاطة بأسبابه وآثاره القبيحة، يجعل الإنسان حذراً بعيداً عنه، محذراً غيره من الوقوع فيه.

ورحم الله القائل:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ ولكنْ لتوقيهِ ... ومن لا يعرف الشرَّ من الخيرِ يقعْ فيهِ

وقد فهم هذا الفهم الثاقب الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وذلك أنه أخبر أن بمعرفة الخير يكون العمل، وبمعرفة الشر يكون الحذر من الوقوع في الزلل، فقال رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني...»(١).

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٠٦)، ومسلم برقم (١٨٤٧). والخير والشر المعنيان في هذا الحديث: إنما هو استقامة أمر دين هذه الأمة، والفتن الطارئة عليها، بدليل باقي الحديث. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢٠/٨٧).

الفصل الثاني

أنواع التغيير

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تغيير القبيح بالحسن.

المبحث الثاني: تغيير من الحسن إلى الأحسن.

المبحث الثالث: تغيير الحسن بالقبيح.

المبحث الرابع: تغيير من القبيح إلى الأقبح.

المبحث الأول

تغيير القبيح بالحسن

وهو التغيير والتبديل من القبيح الذي يشمل: الشرك، والكفر، والمعاصي، والأخلاق السيئة، إلى الحسن الذي يشمل: التوحيد، والإيمان، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة.

وهذا النوع من التغيير من أعظم ما يتقرب به العباد إلى ربهم ﷻ، وهو الرجوع إليه والإنابة له سبحانه.

والغرض من معرفة هذا النوع من التغيير والتبديل الذي يطرأ على العبد هو: معرفة ما أراده الله تعالى من العباد، وهو التغيير إلى كل صلاح وخير؛ ولكي يعرف الإنسان ما يجب عليه، فيسعى إليه، ويلتزم به، ويموت عليه.

فإن الله تعالى أثنى على أصحاب محمد ﷺ وغيرهم؛ لأنهم التزموا بهذا النوع من التغيير، ولم ينتقلوا إلى سواه مما لا يحبه الله ويرضاه، حتى لقوا ربهم ـ تبارك وتعالى ـ، فأثنى الله عليهم في كتابه الكريم، بقوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]. بل إن الله تعالى أمر جميع المسلمين بألا يغيروا ما هم عليه من الإيمان والإسلام، وأن يثبتوا عليه حتى الممات، فقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

أي: يا أيها الذين آمنوا داوموا على إيمانكم، ويكون هذا خطاباً للمؤمنين[1].

❀❀❀

(١) النكت والعيون (١/٥٣٦).

المبحث الثاني

تغيير من الحسن إلى الأحسن

فإننا إذا نظرنا إلى هذا النوع من التغيير نجده من التغيير المرغوب، وهو في الشريعة محبوب ومطلوب، فلا يكتفي المسلم أن يبقى على إسلامه فقط دون زيادة في الخير الذي شرعه الله له؛ بل يرتقي بنفسه في درجات الإيمان، ويصل بهمته إلى مرتبة الإحسان، الذي هو أعلى مراتب الدين والإسلام، فمن كان محافظاً على الفرائض، وهذا الذي لا يختلف فيه اثنان، فكذلك لا بد أن يكون محافظاً على النوافل والسنن الرواتب، وغيرها مما استحبه الشارع، ومن كان على علم بما أوجب الله عليه من الفرائض والعبادة التي يمارسها، فلا بد أن يزداد من الخير والعلم والدعوة؛ حتى ينفع غيره من جُهَّال المسلمين، ممن لا يستطيعون نيل العلم لأسباب وظروف أحاطت بهم، فيقوى إيمانهم بالعلم والمعرفة التي تعلموها منه، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢] فإن قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾؛ أي: ليتفقهوا في أحكام الدين ومعالم الشرع، ويتحملوا عنه ما يقع به البلاغ، وينذروا به قومهم إذا رجعوا إليهم[١].

فالمؤمن لا بد أن يكون في تقدم دائمٍ، لا يفتر طرفة عين عن ترقية نفسه علمياً وإيمانياً.

---

(١) النكت والعيون (٢/ ٤١٥).

وقد رغَّب النبي ﷺ في هذا النوع من التغيير، فكان يحث على أن يرتقي المسلم بنفسه ويرفعها للمعالي، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلاماً شابّاً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم: كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، قال لي: لم تُرَع. فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**». فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً[(١)].

فانظر كيف جعل النبي ﷺ ابن عمر يُغيِّر إلى الأحسن بإرشاده وتوجيهه للأحسن، حتى إنه لم يدع ذلك الأمر.

بل كان النبي ﷺ يحُذِّر من الذي لا يرتقي بنفسه لمعالي الخير والصلاح، فقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[(٢)].

ولا يقول المسلم: لا أريد من تطوير نفسي في الخير والعلم والأخلاق الحسنة؛ بل لا بد أن يسارع في التغيير نحو التطوير، وقد ضرب لنا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مثالاً عظيماً في التغيير نحو التطوير للأحسن والرُقي للأفضل، فيقول رضي الله عنه: «فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه»[(٣)].

ولم يكن التغيير نحو التطوير للأحسن معيباً أبداً؛ بل هو رفعة

---

(١) رواه البخاري برقم (١١٢١). (٢) رواه البخاري برقم (١١٥٢).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٤٦٢).

وكرامة في الدنيا والآخرة، وما قصه الله لنا من قصة موسى عليه السلام مع الخضر، إلا مثالاً عظيماً لذلك، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦]. وذلك أن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟. فقال: أنا أعلم. قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: أي رب، كيف لي به... الحديث(١).

فانظر كيف أن موسى عليه السلام لم يستنكف من الازدياد من العلم والخير، وهذا من التغيير إلى الأحسن والأفضل.

وكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم فقد طلب من ربه الزيادة في العلم والمعرفة فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

بل بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ليتمم الأخلاق الحسنة، ليرقى بها ويزيدها حسناً وجمالاً؛ بأن يجعلها قربة وعبادة، بعد أن كانوا يعملونها فخراً وعادة، فقال صلى الله عليه وسلم: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(٢).

فإن العرب كانت عندها من الأخلاق الكريمة، التي تُمدح بها بين العرب والعجم، وعندها من الأخلاق الأخرى التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم صالحها، ويجعلها خالصة لله تعالى، لا للثناء والمدح، ولكي ينهى عن سفاسفها ووضيعها، وبذلك يكون الإتمام لها، والتغيير بها نحو الأحسن والكمال.

فطلب الكمال والحسن ليس مقتصراً على العبادات؛ بل يشمل الأخلاق.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

ومن نظر في دعاء النبي ﷺ يجد أنه كان يطلب من ربه الأحسن والأكمل في الأخلاق، فكان يقول ﷺ: «... **اللَّهُمَّ أنت الملك لا إله إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[١].

فهو الذي كان يلقب بالصادق الأمين، وهو الذي عرف بأنه يصل الرحم، ويحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق[٢]، ومع ذلك لم يتردد في سؤال ربه الكمال في الأخلاق، فقال: (واهدني لأحسن الأخلاق).

❀❀❀

(١) رواه أحمد برقم (٧٢٩) ومسلم برقم (٧٧١).
(٢) رواه البخاري (١/ ٣) برقم (٣)، ومسلم (١/ ١٣٩) برقم (١٦٠).

المبحث الثالث

تغيير الحسن بالقبيح

وهو تغيير من الحسن إلى القبيح ـ والعياذ بالله ـ، وهذا حال كثير من العباد، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣]؛ فإن الكثير من الخلق لا يحاول ولا يجاهد نفسه بأن يغيِّر أو يبدل ما يعلق به من الشرك بالله، والكفر، والمعاصي، والأخلاق السيئة التي يبغضها الله ورسوله ﷺ، لا سيما وأنه قد جاء التحذير منها بأساليب متنوعة؛ فمرة بالنهي عنها، ومرة بذم أصحابها، ومرة بذكر العواقب والعذاب الذي يحل بأهلها ومرتكبيها، كما سيظهر ذلك جليّاً بإذن الله تعالى، عند ذكر النماذج والأمثلة على هذا النوع.

والغرض من معرفة هذا النوع من التغيير هو: أن الإنسان يتعظ ويعتبر بغيره ممن أخبر الله عنهم، ومن جاءت أخبارهم في التاريخ والتراجم والسير، من الذين ماتوا دون أن يغيِّروا أو يبدِّلوا تلك المعاصي بأنواعها من الشرك والكفر بالله، والأخلاق السيئة، والمحرمات، فكان جزاؤهم ما أخبر الله عنهم من العذاب والنكال ـ والعياذ بالله ـ، ولو أنهم جاهدوا أنفسهم على تركها والخلاص منها، لأعانهم الله على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فإن من استعان بالله على أمرٍ أعانه الله تعالى عليه، كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «... **ومن يستعفف يعفه الله،**

ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله...»[١].

فقوله: «**ومن يستعفف**»؛ أي: عن المسألة «**يعفه الله**»؛ أي: يعينه الله على العفة، «**ومن يستغن**» بما عنده وإن قل: «**يغنه الله**» بإلقاء القناعة في قلبه، والقنوع بما عنده[٢].

فمن طلب الاستعانة من الله تعالى على ترك ما علق به من المحرمات، وتغييرها بالطاعات والقربات، أعانه الله ﷻ ويسر له أسباب التغيير، كما قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

(١) رواه البخاري برقم (١٤٦٩)، ومسلم برقم (١٠٥٣).
(٢) سبل السلام (٣/ ٢٦٠).

المبحث الرابع

التغيير من القبيح إلى الأقبح

فإن من العجيب لبعض الخلق أنه لا يكتفي بما عنده من القبح والمعاصي والرذائل، فيذهب إلى أبعد من ذلك فيغوص في ظلمات الكفر والشرك والبدع ـ والعياذ بالله تعالى ـ، وهذا من عدم التوفيق وخبث الطوية؛ إذ أنه لم يُرد التغيير للحسن والفضائل، والبعد عن مستنقعات الفواحش والرذائل، فوكله الله إلى نفسه الضعيفة الهالكة ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

وإننا إذا نظرنا إلى الأقوام الذين أهلكهم الله تعالى، وقص علينا قصصهم في القرآن الكريم، نجد أن الله تعالى لم يهلكهم إلا بعد أن أمهلهم وأعطاهم الفرصة للتغيير من تلك المعاصي والذنوب التي كانوا يقترفونها، فلم يفعلوا وتمادوا وازدادوا في الكفر والضلال، فوقع عليهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠]، فحُرِموا قبول التوبة، وكتبت عليهم الضلالة، بسبب كفرهم والازدياد فيه.

وهؤلاء قوم لوط عليه السلام أهلكهم الله بسبب انحدارهم في المعاصي والذنوب فما كان من نبيهم لوطاً عليه السلام إلا أن وعظ قومه ونهاهم أن يفضحوه في ضيفه، وعرض عليهم النساء وترك الرجال، فلم يلتفتوا إلى قوله، وتمادوا فيما هم فيه من إرادة الفاحشة[1]، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ

(١) أضواء البيان (٢/ ١٩٠).

قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود: ٧٨ ـ ٧٩].

وقد أضافوا إلى هذه الفاحشة كفرهم بالله تعالى، فلم يسلموا لله ولم يؤمنوا بنبيهم، فليس في قوم لوط من المسلمين إلا أهل بيته، قال الله سبحانه: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦].

بل وصل بهم الحال في التغيير نحو القبائح، أنهم صاروا يحاربون الطاهر والعفيف، ويفتخرون بما هم عليه من الفاحشة، قال الله عنهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل: ٥٦].

فكان الهلاك الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: ٨٤] والمجرمون فاعلوا الجريمة، وهي المعصية والسيئة، فإن تمالأهم على فعل الفاحشة واستحلالهم إياها يدل على أنهم لم يكونوا مؤمنين بالله(١)، كما بينته الآية الكريمة التي قبل.

وكذلك فعل قوم نبي الله شعيب عليه السلام فهم لم يكتفوا بأنهم كانوا ينقصون الميزان والمكيال؛ بل أضافوا إلى ذلك الفساد في الأرض، ووصلوا إلى أقبح من ذلك كله، فاستهزؤوا بنبيهم وكفروا بربهم(٢)، فقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ

(١) التحرير والتنوير (٨/ ١٨٤).
(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٢٥٦).

إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال الله عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: ٨٧]، فكان الهلاك والعذاب متنوعاً جزاء بما نوعوا من القبائح والرذائل، فقال الله: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٩٤].

فكل هذه الأنواع من العذاب والهلاك كان جزاء وفاقاً، وذلك يوم أن غيَّروا إلى الأقبح، وتمادوا في التغيير نحو القبائح إلى أن وصلوا للكفر بالله تعالى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اجتمع عليهم ذلك كله ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ [الشعراء: ١٨٩] وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٨]»(١).

وهكذا كل من غيَّر إلى الأقبح نال ما ناله هؤلاء من العذاب والهلاك، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل: ١١٨].

❊❊❊

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٨٤).

الفصل الثالث

أدلة التغيير

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة من السُّنَّة النبوية.

توطئة

في هذه السطور سأذكر بعضاً من الآيات والأحاديث الدالة على التغيير والتبديل من حال إلى حال، سواء كان من القبيح إلى الحسن، وهو التغيير المحمود، وذلك بتغيير وتبديل الشرك بالله، والكفر، والمعاصي والأخلاق السيئة التي تعلق بكثير من الناس، إلى كل طيب وحسن: من التوحيد، والطاعات والأخلاق الحسنة، وكل ما يدخل في معنى الحسن والخير والصلاح، أو النوع الثاني وهو تغيير وتبديل الحسن بالقبيح وهو التغيير المذموم، ـ والعياذ بالله ـ.

المبحث الأول

الأدلة من القرآن الكريم

١ ـ قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦١، ١٦٢].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: فغيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، فقالوا: وقد قيل لهم: قولوا: هذه حطة: «حنطة في شعيرة». وقولهم ذلك كذلك، هو غير القول الذي قيل لهم قولوه. يقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، بعثنا عليهم عذاباً، أهلكناهم بما كانوا يغيرون ما يؤمرون به، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله، ويقولون غير الذي أمرهم الله بفعله»(١).

فأنت ترى أن تغييرهم أوامر الله تعالى، كان سبباً في نزول العذاب من السماء، وهكذا كل من غيَّر الخير والطاعة بالشر والمعصية ناله

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٧٩).

عذاب الله تعالى وسخطه، إلا من أحدث تغييراً آخر وهو التوبة والرجوع إلى خالقه ومولاه، فمن تاب، تاب الله عليه.

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

فالله ـ جلَّ في علاه ـ ما كان ليغيِّر ويبدِّل النعم والخير على عباده الصالحين والموحدين، إلا إذا كفروا وأشركوا، وغيَّروا واستبدلوا الخير بالشر، ـ والعياذ بالله ـ، وبارزوا الله تعالى بالمعاصي، فهنا تحل النقم، وترفع النعم، وهذا من كمال عدل الله تعالى مع خلقه.

قال العلامة عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية: «﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين، وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم، فإن الله ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الأنفال: ٥٣] من نعم الدين والدنيا؛ بل يبقيها ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكراً. ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] من الطاعة إلى المعصية، فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفراً، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم، كما غيروا ما بأنفسهم»(١).

٣ ـ قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

يخبر الله تعالى عن الذين ورَّثوا قومهم دار البوار، وهو الهلاك والعذاب ـ والعياذ بالله ـ، الذي كان بسبب تغيير وتبديل دين الله تعالى، وذلك بالكفر به، وعدم الإيمان برسوله ﷺ.

قال العلامة ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا تنبيه على مثال من ظالمين

(١) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (ص٣٢٤).

أضلوا، والتقدير: بدَّلوا شكرَ نعمةِ الله كفراً، وهذا كقوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢]. و«نعمة الله» المشار إليها في هذه الآية هو: محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش، فكفروا النعمة، ولم يقبلوها، وتبدلوا بها الكفر»(١).

٤ ـ قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [النمل: ١١].

أي: ثم تاب فبدَّل حُسن التوبة بعد قبح الذنب، فإني غفور له رحيم به، فلا ييئس أحد من رحمة الله ومغفرته(٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾﴾ هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك: أن من كان على عمل سيئ، ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه»(٣).

٥ ـ قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: ٩٥].

قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن المعنى: أنهم لما أعرضوا عن الاتعاظ بنذر العذاب، رفعنا عنهم العذاب، وفتحنا عليهم أبواب الخير، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: ٩٤ ـ ٩٥]»(٤).

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٣٨).

(٢) التفسير الميسر (٤٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٣٤).

(٤) التحرير والتنوير من التفسير (٧/ ٢٣٠).

٦ ـ وقول الله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمل: ١١، ١٢].

وهذا التعليل أفاد تهديدهم بأن هذه النقم أعدت لهم؛ لأنها لما كانت من خزائن نقمة الله تعالى، بحيث يضعها الله في المواضع المستأهلة لها، وهم الذين بدلوا نعمة الله كفراً، فأعدَّ الله لهم ما يكون عليهم في الحياة الأبدية ضدّاً لأصول النعمة التي خولوها، فبطروا بها، وقابلوا المنعم بالكفران[1].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾: «ما شكوا وما ترددوا في دينهم، ولا استبدلوا به غيره»[2].

وقال ابن زيد رَحِمَهُ اللهُ في قوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾: «لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون»[3].

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييراً، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم: هلم إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة»[4].

والأدلة من القرآن كثيرة، ولكن أحببت أن أشير إلى ذلك إشارة، فيعتبر من كان عاقلاً لبيباً فطناً، ومن أصرَّ على عدم التغيير، فمات وهو من الكافرين، أو من العاصين، فإن الله غنيٌّ عن العالمين.

---

(١) التحرير والتنوير من التفسير (٢٩/ ٢٧١).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤١).
(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤١).
(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤١).

المبحث الثاني

الأدلة من السُّنَّة النبوية

١ ـ عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا**». **قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»**. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُر محجلة بين ظهري خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله**»؟، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقاً**»(١).

وهذا يشمل كل من غيَّر وبدَّل دين الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، ويدخل في هذا أيضاً من بدَّل وغيَّر الطاعة بالمعصية، والسُّنَّة بالبدعة.

قال العلامة السيوطي ﵀: «فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك». قيل: هم المنافقون والمرتدون، وقيل: من كان في زمنه ﷺ ومن ارتد بعد وفاته، وقيل: أصحاب الكبائر، وقيل: أصحاب الأهواء والبدع»(٢).

٢ ـ وعن عياض بن حمار المجاشعي ﵁ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني**

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٩).

(٢) الديباج على مسلم للسيوطي (٢/ ٣٣).

يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...»(١).

وهذا دليل على أن مما يطرأ عليه التغيير، تغيير الفطرة التي فطر الله العباد عليها، من التوحيد ومعرفة الرب سبحانه وتعالى.

قال العلامة أبو العباس القرطبي رحمه الله: «وقوله: «وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»؛ يعني: شياطين الإنس من الآباء والمعلمين بتعليمهم وتدريبهم، وشياطين الجنِّ بوساوسهم. ومعنى «اجتالتهم»؛ أي: صرفتهم عن مقتضى الفطرة الأصلية»(٢).

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمةُ بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠](٣).

وهذا كما في الحديث السابق من تغيير الفطرة السليمة التي فطر الله العباد عليها، وقد يكون سبب تغيير هذه الفطرة: الشياطين، أو الأبوين، أو غيرهما، كما سيأتي في أسباب التغيير والتبديل.

٤ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع**

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٦٥).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٧١٢).
(٣) رواه البخاري برقم (١٣٥٩)، ومسلم برقم (٢٦٥٨).

كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار»(١).

وهذا الحديث شمل أنواع التغيير الذي يطرأ على الإنسان، سواء التغيير المحمود، أو التغيير المذموم.

٥ ـ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال ﷺ: «**يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**» وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»(٢).

ولما سئل حذيفة رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أكانوا يصلون لهم؟ قال: لا، ولكنهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله عليهم فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه؛ فصاروا بذلك أرباباً(٣).

فعلم أن اليهود غيَّروا وبدَّلوا شرع الله تعالى؛ فأحلوا الحرام وحرموا الحلال؛ ولذلك كانوا من المغضوب عليهم.

وفيه دلالة بيِّنة أنَّ التغيير والتبديل يجري على الأديان والشرائع والعقائد، كما يجري على الأخلاق والمعاملات.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٣٢)، ومسلم برقم (٢٦٤٣) واللفظ للبخاري.
(٢) رواه الترمذي برقم (٣٠٩٥). قال الشيخ الألباني: حسن.
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم (٢٠١٣٨).

الفصل الرابع

أسباب التغيير

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب التغيير إلى الحسن والصلاح.

المبحث الثاني: أسباب التغيير إلى القبح والفساد.

المبحث الثالث: أسباب التغيير المشتركة.

توطئة

إن أسباب التغيير والتبديل الذي تطرأ على الإنسان كثيرة، ولا يمكن أن تحصى في هذه الرسالة، ولكن سأذكر بعضاً منها، وهي أعظمها تأثيراً على الإنسان، ويمكن أن نقسم الأسباب إلى أقسام ثلاثة:

الأولى: ما تكون دافعة للتغيير نحو الفضائل والخير والصلاح.

الثانية: ما تكون دافعة للتغيير نحو الرذائل والقبائح.

الثالثة: ما يشترك فيها نوعي التغيير، فقد تكون دافعة للتغيير نحو الحسن، وقد تكون دافعة للتغيير نحو القبيح.

وسأبدأ بذكر الأسباب التي تكون دافعة للتغيير نحو الفضائل، والخير، والصلاح، إذ هي المطلوبة شرعاً، ثم أُثني بالأسباب التي تكون دافعة نحو القبح والرذائل ـ والعياذ بالله ـ، ثم أذكر الأسباب التي يشترك فيها كلا التغييرين.

المبحث الأول

أسباب التغيير إلى الحسن والصلاح

السبب الأول

القرآن الكريم فهمه وتدبره

كيف لا يكون كلام الله تعالى سبباً رئيساً في التغيير والتبديل، من ظلمات الشرك بالله والكفر به، ووحل المعاصي، وانحطاط الأخلاق، إلى نور التوحيد والإيمان، ونعيم الطاعات، ومعالي الأخلاق، وهو مصدر الهداية للخلق، والبيان والإرشاد للعباد؛ بل هو قائد وأوَّل وأعظم أسباب التغيير إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

قال الزجاج والكلبي والفراء رحمهم الله تعالى: «للحال التي هي أقوم الحالات، وهي: توحيد الله، والإيمان برسله»[(١)].

وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها، وهي: توحيده جَلَّ وَعَلَا في ربوبيته، وفي عبادته، وفي أسمائه وصفاته»[(٢)].

---

(١) تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ١٧).
(٢) تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ١٧).

وقال الله ﷻ واصفاً كلامه بأنه روح يُحيي به العباد فيبصرون به نور الإيمان والهداية: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: جعلنا القرآن نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا إلى الإيمان بنا وتوحيدنا، وطلب مرضاتنا، بفعل محابنا وترك مساخطنا(١).

وقال الله جلَّ في علاه عن تأثير القرآن في العباد، وأنه سبب في تغيرهم للخير والصلاح: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١]. فأي تغيير بعد هذا التغيير! يأتون مستمعين للقرآن، فما إن سمعوه حتى صاروا دعاة لدين الله، والإيمان برسول الله، والسبب أنهم سمعوه بقلوبهم قبل آذانهم، فأنتج هذا التغيير فيهم.

بل إن القرآن أُنزل على نبينا ﷺ لهداية الخلق، وإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر والمعاصي، إلى نور التوحيد والإيمان والطاعات، قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

ومن نظر في الشخصيات التي أثر فيهم القرآن، فكان سبباً في هدايتهم وبذرة في تغييرهم، وترك ما هم عليه من الشرك والكفر والمعاصي فهي كثيرة، من ذلك: ما أخبر به مطعم رضي الله عنه قبل إسلامه حين

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (٤/ ٦٢٥).

قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧].

قال: «كاد قلبي أن يطير»(١).

وما قصة تأثير القرآن في الجانَّ الذين استمعوه من النبي ﷺ فصاروا دعاة للإسلام، إلا مثالاً واضحاً على أن القرآن سببٌ للتغيير إلى كل صلاح وخير.

بل إن الكافرين والمشركين علموا تأثير القرآن في نفوسهم، وأنه من أسباب التغيير إلى الخير والصلاح، كما أخبر الله تعالى عنهم في صدهم عن دين الله فقال عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]، فترى بعضهم ينهى الآخر عن سماعه، ويأمر باللغو فيه؛ لكراهتهم للحق، ومحاولتهم أن يغلبوا الحق بالباطل.

ومما يبين لنا تأثير القرآن في نفوس المشركين فضلاً عن غيرهم، ما روته لنا أم المؤمنين عائشة عن أبيها رضي الله عنهما قالت: «لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدَّغِنَة(٢) ـ وهو سيد القَارة(٣) ـ فأدخل أبا بكر تحت جواره ـ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصلي ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٥٤).

(٢) اسمه ربيعة بن رفيع، وأما الدَّغِنَة، فهو اسم أُمِه، ومعناه لغة: الغيم الممطر. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٠/١٢٦).

(٣) القارة: بالقاف وبتخفيف الراء، قبيلة موصوفة بجودة الرمي. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٠/١٢٦).

يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدَّغِنَة فقدم عليهم.

فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان»[1].

فانظر كيف خشي الكفار من تأثير القرآن في أبناءهم ونساءهم. ولنا أن نقرأ أيضاً ما قصه الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش، وحذروه من رسول الله ﷺ، ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه.

فقال رضي الله عنه: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً؛ فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة.

قال: فقمت منه قريباً؛ فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله.

قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ **الحسن من القبيح**، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٥).

قومك قالوا لي كذا وكذا ـ للذي قالوا ـ قال: فوالله، ما برحوا بي يخوفونني أمرك، حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرك، قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا علي القرآن، فلا والله، ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق[١].

ومن النماذج التي تغيرت بالقرآن الكريم، ما كان من إسلام الحجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه، حيث كان سبب تغييره للشرك والكفر هو سماعه القرآن الكريم الذي سمعه في سفره، حيث إنه خرج في ركب من قومه إلى مكة، فلما جن عليه الليل وهو في واد وحش مخوف قعد، فقال له أصحابه: يا أبا كلاب، قم فاتخذ لنفسك ولأصحابك أماناً، فقام الحجاج بن علاط يطوف حولهم يكلؤهم ويقول:

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي   من كل جني بهذا النقب

حتى أؤوب سالماً وركبي. . .

فسمع قائلاً يقول: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٣]. وقال: فلما قدموا مكة أخبر بذلك في نادي قريش، فقالوا له: صبأت والله يا أبا كلاب، إن هذا فيما يزعم محمد أنه أنزل عليه، قال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي، ثم أسلم الحجاج، فحسن إسلامه ورخص له رسول الله ﷺ أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة عام خيبر؛ من أجل ماله وولده بها، فجاء العباس بفتح خيبر وأخبره بذلك سرّاً،

(١) السيرة النبوية لابن كثير (ص٧٢).

وأخبر قريشاً بضده جهراً، حتى جمع ما كان له من مال بمكة وخرج عنها[١].

وما تردَّى كثيرٌ من المسلمين؛ فتغيرت أخلاقهم، وساءت معاملاتهم، إلا بسبب هجرهم للقرآن، وابتعادهم عن كلام الرحمٰن، ـ والله المستعان ـ.

(١) تاريخ دمشق (١٢/١٠٦)، والاستيعاب (١/٩٦)، والروض الأنف (١/٣٥٧).

السبب الثاني

الرسل والأنبياء

فإن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يُعدُّون من أعظم أسباب التغيير، كيف لا يكونون كذلك، وهم الذين يبلغون دين الله، ويدعون العباد إلى توحيد الله تعالى والإيمان به، والالتزام بطاعته، فهم منابع الأخلاق، وسبل معرفة الرب سبحانه وتعالى، وما من نبي ولا رسول إلا دعا قومه لتغيير وتبديل ما هم عليه من الشرك والكفر والمعاصي، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال الله سبحانه مخبراً أنه أرسل رسله لهذه الغاية الحميدة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولا سبيل لهداية الخلق إلا عن طريق الرسل والأنبياء عليهم السلام.

فإن الرسل والأنبياء أحرص الناس على تغيير ما علق بأقوامهم من الشرك والكفر بالله تعالى، وكذا كان نبينا محمد ﷺ، فقد تمنى النبي ﷺ أن يدخل الناس كلهم في دين الله تعالى، وأن يؤمنوا بالله جل وعلا، وأن يغيروا ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان، بتوحيد الرحيم الرحمٰن، وأن يستبدلوا الذنوب والعصيان، بطاعة الله تعالى المنان، فقال الله تعالى عن حال نبيه ﷺ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣].

وقد جاء ما يبيِّن حرص الرسول ﷺ الشديد على هداية الخلق، وعلى أن يكون سبباً في تغيير الشرك بالتوحيد، والكفر بالإيمان، ففي حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: «**أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**».

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله...[1].

وقد استخدم النبي ﷺ وسائل شتى في الدعوة لتغيير ما عليه أهل الشرك والكفر، ومن تلك الوسائل: (الدعاء)، فكم غيَّر الله تعالى به ظلمات الشرك والكفر والعصيان وأبدلهم بالتوحيد والطاعة والإيمان، كان ذلك بدعائه ﷺ.

ومن أمثلة ذلك: ما قصَّه لنا الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه بأن سبب إسلام أمه، وتغيير الشرك والكفر التي كانت عليه، كان بدعاء النبي ﷺ، فقال رضي الله عنه: كنت أدعو أمي إلى الإسلام ـ وهي مشركة ـ فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهد أم أبي هريرة**» فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف،

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٧٢).

فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ حبب عبيدك هذا ـ**؛ يعني: أبا هريرة ـ **وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**»، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[١].

وقدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه رضي الله عنهم على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس، قال: «**اللَّهُمَّ اهد دوساً وأت بهم**»[٢].

ووقع ذلك، فإنَّ حبيب بن عمرو بن حثمة الدوسي، كان حاكماً على الدوس، وكذا كان أبوه من قبله ـ وعُمر ثلاثمائة سنة ـ وكان حبيب بن عمرو يقول: إني لأعلم أنَ للخلق خالقاً، لكني لا أدري من هو، فلما سمع النبي ﷺ خرج إليه، ومعه سبعة وخمسون رجلاً من قومه؛ فأسلم وأسلموا[٣].

بل كان النبي ﷺ يفرح بتغيير الشرك والكفر بالله، والإقبال على التوحيد والإيمان والطاعة، وكان هو المتسبب في ذلك التغيير، فعن

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٩١).
(٢) رواه البخاري برقم (٢٩٣٧) ومسلم برقم (٢٥٢٤).
(٣) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٠٩).

أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على غلام من اليهود وهو مريض، فقال له: «**أسلم**». فنظر إلى أبيه، فقال له أبوه: أطع رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»[1].

فانظر إلى فرحة النبي الكريم ﷺ بإسلام اليهودي، وتغيير ما هو عليه إلى ملة الحنيفية السمحة، دين محمد ﷺ.

فأين هذا ممن لا يفهم إلا لغة القتل وسفك الدماء المعصومة والمحرمة.

فشتان بين النبي الرحيم، وبين السفَّاك الأثيم.

❁❁❁

(١) رواه البخاري برقم (١٣٥٦)، واللفظ للنسائي برقم (٨٥٨٨).

السبب الثالث

الأخلاق الفاضلة

فإن الأخلاق الحسنة تعد دعوة للتغيير والتبديل إلى كل حسن وجميل، ولذا اتصف بها محمد ﷺ، فنال منها القدح المعلى، ومدحه ربه بها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

بل أُرسل ﷺ داعية للتوحيد، وإتمام الأخلاق الفاضلة؛ لما لها من الأثر البالغ على الناس، ولما فيها من دعوة الخلق إلى الإسلام والفضائل، فقال النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

وقد شهد النبي ﷺ لأهل الأخلاق الحسنة بالخيرية، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ كان يقول: «**إن من خياركم، أحسنكم أخلاقاً**»(٢).

وكم نسمع أن كثيراً ممن اعتنق الإسلام، وغيَّر الكفر والعصيان بالتوحيد والإيمان، وكان ذلك بسبب الأخلاق الفاضلة التي تصدر من بعض المسلمين، وما انتشر دين الإسلام في دول شرق آسيا، إلا بسبب بعض التجار الذين كانوا على أخلاق عالية، وذلك أنهم اتصفوا بالأمانة والصدق في البيع والشراء والتجارة، فأثرت تلك الأخلاق بأولئك

---

(١) رواه أحمد برقم (٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٧٣)، والبيهقي في الكبرى برقم (٢٠٥٧١)، انظر: الصحيحة برقم (٤٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٣٦٦)، ومسلم برقم (٢٣٢١).

الناس، فغيَّروا وبدَّلوا ما كانوا عليه من الكفر والعصيان، ودخلوا في دين الإسلام، ولله الحمد والمنة.

ولذلك كان ارتباط الأخلاق الفاضلة بالتوحيد والعقيدة والدين يعدُّ ارتباطاً وثيقاً، فكثيراً ما يربط الله ﷻ بين الإيمان والعمل الصالح، الذي تعدُّ الأخلاق الحسنة أحد أركانه، فالإيمان دون خُلُق؛ كشجرة لا ظل لها ولا ثمرة، ومن ذلك الارتباط قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

بل يجب التحلي بالأخلاق الفاضلة، لمواجهة المغريات والتحديات، فهي أعظم ما يُبنى به المجتمع المتماسك، الذي لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء وضعف وانهزام الأمم والحضارات محصوراً في ضعف إمكاناتها المادية وتطوراتها العلمية؛ بل قد يكون في قِيمها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها، فإن الله تعالى إذا أراد هلاك قرية أو دولة أذهب عنهم الأخلاق فذهبوا معها دون رجعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

ورحم الله القائل:

إنما الأُمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

السبب الرابع

الدعوة إلى الله تعالى

وهي كذلك تعد من أعظم أسباب التغيير والتبديل، ومن نظر في دعوة الرسل والأنبياء لأقوامهم وأممهم، يرى التغيير الذي جرى على تلك الأقوام والأمم والشعوب من الشرك بالله، والمعاصي، والأخلاق السيئة، بسبب الدعوة إلى الله تعالى؛ فالدعوة لها الأثر البالغ في ترك تلك القبائح والرذائل والإقبال على الفضائل من: التوحيد، والإيمان، والطاعات والأخلاق الحسنة.

ومن أعظم ما أنتجته الدعوة إلى الله تعالى من صور التغيير والتبديل ما يلي:

١ ـ إحقاق الحق، وإزهاق الباطل.

٢ ـ انتشار العدل، ورفع الظلم.

٣ ـ انتشار الصلاح، وقطع دابر الفساد.

ومن صور التغيير والتبديل الذي أنتجته الدعوة إلى الله، ما كان متفشياً ومنتشراً من شرب الخمور عند العرب قبل الإسلام، حتى مُلئت بها البيوت والمجالس، وكُتبت فيها الأشعار، مع كونها تؤدي إلى كثير من النزاعات بين الناس، لكن تُركت تلك الخمور، وغيرت تلك المجالس؛ بدعوة محمد ﷺ للفضائل وترك الرذائل، ويحكي لنا ذلك التغيير والتبديل الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يقول: «كنت

ساقي القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذٍ الفضيخ[١]، فأمر رسول الله ﷺ مناديًا ينادي: ألا إن الخمر قد حُرمت، فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة»[٢].

ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى لها الأثر البالغ في التغيير، بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ـ داعياً إلى الله تعالى ـ، فنزل في بني تيم على أسعد بن زرارة، فجعل يدعو الناس إلى الإسلام سرّاً، ويفشو الإسلام ويكثر أهله، وهم مع ذلك شديد الاستخفاء، فما زال يدعوهم إلى الإسلام حتى أسلم سعد بن معاذ، وأسلم قومه بنو عبد الأشهل عن بكرة أبيهم[٣].

بل إن أعظم التغيير الذي أنتجته الدعوة إلى الله تعالى هو ترك ونبذ الشرك والكفر بالله، حتى بلغ هذا التغيير أن صار بعضهم داعية لتوحيد الله، فهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه حين سأله رستم قائد الفرس: ما جاء بكم؟ فقال ربعي بن عامر رضي الله عنه: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه؛ لندعوهم إليه»[٤].

وما جيل الصحابة رضي الله عنهم إلا مثلاً عظيماً في تأثير وتغيير الدعوة إلى الله تعالى لهم، فكيف كانوا؟، وكيف صاروا رضي الله عنهم؟، فقد كانوا في جاهلية جهلاء، وكفر وشرك بالله، وظلم مستطير، وحروب لا تنقطع، وشرب للخمور، وارتكاب الفجور، فلما بُعث النبي ﷺ ودعاهم إلى الله

---

(١) خمر يتخذ من البسر.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٤٦٤).

(٣) السيرة لابن حبان (ص١٠٥).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٣٩).

تعالى، أقبلوا على الله، وغيَّروا وبدَّلوا كل ما كانوا يعملونه من الأمور المستقبحة، وعملوا بشرع الله تعالى، فكانوا جيلاً فريداً تُضرب بهم الأمثال في التغيير والتبديل نحو الحسن والكمال، وجميل الأخلاق والخصال، فرضي الله عنهم أجمعين.

السبب الخامس

الحوار الهادف

فإن بالحوار الهادف تصحح المفاهيم، ويُبيَّن الصراط المستقيم، ولذا كان من أعظم أسباب التغيير والتحويل؛ ولذلك أمر الله به نبيه محمداً ﷺ بأن يجعله من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وسبباً من أسباب الرجوع إلى دين الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

فالحوار الهادف استعمله الأنبياء مع أقوامهم في دعوتهم للحق، وممن حاور قومه وبيَّن لهم الحق عبر الحوار الهادف أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام كما أخبرنا ربنا عنه بقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٢ ـ ٧٧]، ولم يقتصر الحوار على نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ بل كان هذا دأب الأنبياء والمرسلين جميعاً في دعوتهم لأقوامهم، ومن قرأ كتاب الله تعالى، وجد ذلك واضحاً جليّاً.

ومما يدل على أهمية الحوار الهادف في التغيير، أن النبي ﷺ استخدم الحوار في تغيير ما كان عليه بعض أهل المعاصي والذنوب، فقد جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابّاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه!

فقال ﷺ: «**ادنه**»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لأختك**»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لعمَّاتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لخالتك**»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه، وقال ﷺ: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فَرْجَه**»، فلم يكن بعد ـ ذلك الفتى ـ يلتفت إلى شيء(١).

ومما يدل على أن الحوار الهادف سببٌ من أسباب التغيير والتبديل هو أن السلف الصالح، وعلماء الأمة والمصلحين استخدموا الحوار في رد المخالفين إلى الهدى والحق المبين.

من ذلك: ما جاء في حوار الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ابن عم رسول الله ﷺ لأهل الضلال من الخوارج، فرجع منهم الكثير، حيث قال رضي الله عنهما: «لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة؛ لعلي أكلم هؤلاء القوم، قال: إني أخافهم عليك، قلت: كلا، فلبست وترجلت ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٢٢١١) قال العلامة الألباني: صحيح.

أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد؛ لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هنَّ؟ قال:

أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] ما شأن الرجال والحكم؟! قلت: هذه واحدة، قالوا:

وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يسب سباهم ولم يغنم، إن كانوا كفاراً لقد حلَّ سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتالهم، قلت: هذه ثنتان فما **الثالثة**؟

قالوا: محى نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جلَّ ثناؤه وسُنَّة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت:

أما قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يُحكِّموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء يحكم فيه فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله، أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل، أو في أرنب؟ قالوا: بلى؛ بل هذا أفضل، وفي المرأة وزوجها، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥] فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من

حكمهم في بضع امرأة، خرجت من هذه؟!، قالوا: نعم، قلت:

وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة؟ تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم، فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحلّ من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم، ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون أن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: اكتب يا علي، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ﷺ ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «**امح يا علي، اللَّهُمَّ إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله**»، والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محى نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار(١).

فتبيَّن أن للحوار أثر بالغ في التغير إلى الحق، حيث أنه رجع من الخوارج ألفين، وتركوا ما كان عندهم من الضلال، ولا يزال العلماء والمصلحون يستعملون الحوار والنقاش الهادف في إرجاع المخالفين والمخطئين من أصحاب الأفكار الهدامة إلى طريق الرشد والاستقامة.

❀❀❀

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٨٥٧٥).

السبب السادس

التوجيه والنصيحة

فإن من أهم أسباب التغيير النصيحة والتوجيه، وهو ما يحتاجه كل مسلم في حياته سواء من نشأ مستقيماً، أو من استقام على شرع الله تعالى، أو من كان بعيداً عن دين الله وشرعه، فإن النصح والتوجيه نحو الطريق المستقيم، والنهج القويم، بأن يلتزم هذا الطريق من وفق إليه، وألا يغيِّره ويبدِّله، وأن يخالط أهله المُعِينين له بعد توفيق الله تعالى؛ فالمسلم هو من يرى عيوب أخيه فيصلحها بالنصيحة والتوجيه؛ فعن النبي ﷺ قال: «**المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه**»(١).

فالنصح والتوجيه لأهل الاستقامة لها الأثر البالغ، في عدم تغيير طريق الاستقامة، والثبات والاستمرار على الخير الذي منَّ الله به على المؤمن، وكذا لها الأثر الطيب لمن زلت به القدم، وابتعد عن طريق الاستقامة، فهو أحوج للنصيحة والتوجيه؛ حتى يعود إلى ربه وخالقه.

وإذا لم يُوجَّه ويُنصح الإنسان نحو الخير والصلاح، وجد من يوجهه نحو الفساد والضياع؛ بحجة عدم التشديد على النفس، وإعطائها ما تريد، وأنه هو طريق الرشاد كما ادعى فرعون ذلك مستخفًّاً قومه قائلاً: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: ٢٩]، ولذلك كان أمر النصيحة في الشرع شأن عظيم، حتى إن

---

(١) رواه البخاري في الأدب برقم (٢٣٩) قال العلامة الألباني: حسن.

نبينا ﷺ جعله الدين كله، فقال ﷺ: «**الدين النصيحة**» ثلاث مرات، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، أو للمؤمنين وعامتهم**»(١). وذلك لما يترتب عليه من صلاح الدنيا والدين، وعدم تغيير طريق رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكذلك بذل النصيحة والتوجيه لمن لم يكن على طريق الهداية، لها الأثر البالغ عليه، وقد تقوده إلى الله تعالى، ويدل على ذلك فعل النبي ﷺ؛ فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم ـ وجئت بغير أمان ولا كتاب ـ فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي، قال: فقام فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة، فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها، وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**ما يفرك أن تقول: لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله**»؟ قال قلت: لا، قال: ثم تكلم ساعة، ثم قال: «**إنما تفر أن تقول: الله أكبر، وتعلم أن شيئاً أكبر من الله**»؟ قال قلت: لا، قال: «**فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال**»، قال قلت: فإني جئت مسلماً، قال: فرأيت وجهه تبسط فرحاً(٢).

وجاء عنه ﷺ أنه نصح عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما سمع أنه كان

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٥).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٩٥٣)، والطبراني برقم (٢٣٦). قال العلامة الألباني: حسن.

مقصراً في قيام الليل، فانتفع بتلك النصيحة والتوجيه، فقد أخبر النبي ﷺ عنه فقال: «**نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل**». فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً[(١)].

وانظر إلى ما صنعته النصيحة والتوجيه في أبي عمر زاذان[(٢)] ـ أحد العلماء الكبار ـ، فقال متحدثاً عن نفسه رَحِمَهُ اللهُ: «كنت غلاماً حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور، فكنت مع صاحب لي، وعندنا نبيذ وأنا أغنيهم، فمر ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فدخل فضرب الباطية[(٣)] بدَّدها، وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن، كنت أنت أنت، ثم مضى.

فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود، فأُلقي في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه؛ فأقبل علي فاعتنقني وبكى وقال: مرحباً بمن أحبه الله، اجلس، ثم دخل وأخرج لي تمراً[(٤)].

فانظر إلى أثر النصيحة على أهل المعاصي، فلا تبخل على إخوانك المسلمين بالنصيحة والتوجيه، وكذا لغير المسلمين، فربَّ نصيحة تلقيها تحدث أثراً وتغييراً.

❀❀❀

---

(١) رواه البخاري برقم (١١٢١).

(٢) هو: أبو عمر الكندي، الكوفي البزاز الضرير، أحد العلماء العباد، ولد في حياة النبي ﷺ، وشهد خطبة عمر بالجابية، توفي سنة (٨٢هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨١)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١).

(٣) وهو الناجود، وهو كل إناء يجعل فيه الخمر.

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨١).

السبب السابع

شهر رمضان المبارك

فرمضان ليس مجرد شهر للتغيير والتبديل فحسب؛ بل هو مدرسة للتغيير، تغيير في الأفعال، وتغيير في الأقوال، وتغيير في الأحوال أحوال القلوب.

فمن التغيير في الأفعال: أن الإنسان المقصر في الطاعات يقبل على ربه تبارك وتعالى بفعل العبادات، والتي لم يكن يعمل بها ويلتزمها، إلا في هذا الشهر المبارك، من صلاة للتراويح، وصيام، وصدقة، واعتكاف.

ومن التغيير في الأقوال: كثرة الذكر لله تعالى، وقراءة القرآن، والمحافظة على الأذكار، والدعاء وغيرها.

ومن التغيير لأحوال القلوب: الخشوع، والرجاء، والخوف، وزيادة الإيمان في القلب، فكان شهر رمضان المبارك مدرسة لتعليم الإخلاص في العبادة، وتربية النفوس على الصلاح، وحبسها عن المحرمات، وتهذيب للأخلاق، وترك الكسل والإقبال على فعل الخير.

وذلك أن الله تعالى ينادي عباده المقصرين بأن يغيروا ذلك التقصير والتفريط في حقه سبحانه، ويرغبهم بالإقبال عليه ﷻ، بفعل الطاعات والخير والصلاح، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أوَّل ليلة من شهر رمضان، صُفدت**

الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»[١].

وكل واحد منا، يرى هذا التغيير واضحاً جليّاً في نفسه وأهله والمسلمين أجمعين، في هذا الشهر المبارك، شهر رمضان.

بل إن التغيير في هذا الشهر المبارك قد ظهر على سيد المرسلين ﷺ حيث عُرف ﷺ بأنه الكريم الجواد في حياته كلها، إلا أنه كان أكرم وأجود في شهر رمضان، كما أخبر بذلك الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[٢].

بل إن الله تعالى فرض صيام شهر رمضان، وجعل من حكمه وغاياته تغيير حال المؤمن من كونه مؤمناً إلى أن يصبح مؤمناً تقيّاً، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣] فرمضان مدرسة تربوية، بها يتدرب العبد المؤمن على تقوية الإرادة في الوقوف عند حدود معبوده في كل شيء، والتسليم لحكم خالقه في كل شيء، وتنفيذ أوامره وشريعته في كل شيء، وترك ما يضره في دينه ودنياه وبدنه، فإن كان كذلك تخرَّج هذا العبد من هذه المدرسة المتكاملة

(١) رواه الترمذي برقم (٦٨٢) وابن ماجه برقم (١٦٤٢)، وغيرهما، قال العلامة الألباني: صحيح.
(٢) رواه البخاري برقم (٦) ومسلم برقم (٢٣٠٨).

بتغيُّر شامل كامل، إلى كل ما يحبه الله سبحانه، وتكون النتيجة هي الفوز في الدارين برضى ربه وخالقه، ودخول جناته، وكل ذلك كان جرَّاء التغيير الذي كان من أسبابه شهر رمضان المبارك.

المبحث الثاني

أسباب التغيير إلى القبح والفساد

السبب الأول

التغريب

من الأسباب الداعية لتغيير العبد إلى كل قبيح كترك الدين وشعائره، والانسلاخ من الأخلاق والفضائل، وحب الفساد والرذائل، وضياع القيم، وانعدام الحياء والعفة، هو التغريب، ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

فإن بمجرد النظر في تعريف التغريب فضلاً على أعمالهم في بلاد الإسلام، يظهر جلياً للناظر أن من أعظم أهدافه هو: التغيير إلى القبائح والشر والفساد، والأخلاق الرذيلة التي عليها الغَربُ.

فقد عُرِّف التغريب بأنه: «تيار فكري كبير، ذو أبعاد سياسية واجتماعية، وثقافية، وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة، وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية»(١).

---

(١) انظر: حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد بن محمد حسين، وشبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، والغارة على العالم الإسلامي، أ.ل. شاتليه ـ ترجمة مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، والإسلام والحضارة الغربية، د. محمد بن محمد حسين.

ومن نظر في لغة القوم فضلاً عن أفعالهم بالمسلمين وديارهم، يتبين له أن القوم إنما أرادوا بهذا التغريب تغيير وتبديل شخصية وهوية المسلم إلى ما هم عليه من القبح والفساد، والأخلاق السافلة السيئة، وترك ما يحمله المرء المسلم من الخير والصلاح، والأخلاق الفاضلة الحسنة.

فقد قال قائلهم وهو لورنس براون: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي؛ ولهذا فلا بد من الدعوة إلى أن يُطبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري»(١).

وقد حذرنا نبينا ﷺ من اتباع اليهود والنصارى لما هم عليه من الكفر والعقائد الباطلة، والأخلاق السافلة؛ فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لتتبعن سَنَنَ من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟، قال: «**فمن**»؟!(٢).

وقد اشتمل التغريب على خمسة مظاهر ليتم تغيرها، والسعي في هدمها، وتبديل معالمها، فبتغييرها ينالون ما أرادوا من طمس هوية المسلم ـ لا مكنهم الله ـ، وهو ما أخبرنا الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

وهذه الخمس التي يسعى الغرب لتغييرها هي التي يقوم عليها الدين والدنيا وهي:

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي (٢/ ١٣٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٦٦٩).

الأول: التغريب في مجال الدين، وتحدثوا فيه عن الاحتفال بالأعياد التي ليست من الإسلام، وعن استبدال القوانين الغربية بالأحكام الشرعية الإسلامية، وعن ظاهرة التدين الجديد.

الثاني: التغريب في مجال السياسة، وتحدثوا فيه عن النظام الديمقراطي، وما ترتب عليه من آثار سيئة على الحياة السياسية في البلاد الإسلامية.

الثالث: التغريب في مجال اللغة، وتحدثوا فيه عن ظاهرة الاستعجام، وظاهرة تعلم اللغات الأجنبية والتعليم بها، ومحاولات استبدال اللغات العامية باللغة الفصحى، ومحاولات هدم النظام اللغوي تحت ستار تجديد النحو وتيسيره.

الرابع: التغريب في مجال الإعلام، وتحدثوا فيه عمّا غلب على إعلامنا المعاصر من تقليد البرامج الغربية، واستيراد الأفلام الغربية، وغير ذلك من مظاهر تقليد الغرب في المجال الإعلامي.

الخامس: التغريب في مجال الأسرة، وتحدثوا فيه عن محاولات تغريب المرأة المسلمة باعتبارها اللبنة الأساسية في تكوين الأسرة المسلمة، وما يترتب على ذلك من تقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية.

وبذلك يُعلم مدى قوة هذا السبب في التغيير نحو القبائح، وترك كل حسن وجميل من الإيمان بالله، والأخلاق الفاضلة، والقيم والثوابت، فكان لا بد على المسلمين عموماً ابتداء من الأسرة وانتهاءً بالشعوب والحكومات الإسلامية، من تعزيز ودعم تلك المجالات الخمسة، التي يسعى أهل التغريب في هدمها وطمسها.

❊❊❊

السبب الثاني

الغلو والتشدد

إن الكلام عن الغلو والتشدد هو الكلام على أبرز أسباب التغيير والتحول الديني الذي يطرأ على أهل الاستقامة؛ ولذلك نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]، ونهى عنه رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(١).

وإنما نهى الشرع عن الغلو؛ لأنه يؤول بالعبد المستقيم إلى ترك الدين بالكلية، أو يؤول به إلى الابتداع في دين الله ما ليس منه، وكلا الأمرين بعدٌ وتغييرٌ لطريق الاستقامة الحقة التي أرادها الله من العبد المسلم.

فأما عن كون الغلو يؤدي إلى ترك الاستقامة، فهذا لا يخفى على ذي عقل؛ لأن النفس من طبعها الملل والسأم والكسل، فمن شدد على نفسه في العبادات أوقع نفسه في المهالك.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق**»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه برقم (٣٠٢٩). قال العلامة الألباني: صحيح.

(٢) رواه أحمد (٣٤٦/٢٠) عن أنس رضي الله عنه. قال العلامة الألباني: حسن. انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (٢٢٤٦).

وأما عن كون الغلو يؤول بصاحبه إلى الابتداع في دين الله ما ليس منه، فليس أدلَّ عليه من فعل الخوارج، لتكفيرهم المسلمين، وقتالهم لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، من الصحابة رضي الله عنهم، فقاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

والسبب هو الغلو الذي سار عليه هؤلاء، فقاتلوا أصحاب رسول الله ﷺ، واستحلوا به دماءهم.

والطريق الذي رسمه الله لعباده المؤمنين وأمرهم بسلوكه، وعدم الانحراف عنه، وعدم تغييره وتبديله، هو الذي قال الله فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ومن خرج عنه وغيَّر وبدَّل ما أُمر به، هلك ـ والعياذ بالله ـ قال النبي ﷺ: «**لا تشددوا على أنفسكم، فإنما هلك من قبلكم بتشديدهم على أنفسهم**»[1].

فالغلو طريق الهلاك، والوسطية طريق والنجاة.

❊❊❊

(١) رواه أبو داود برقم (٤٩٠٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه. قال العلامة الألباني: صحيح.

السبب الثالث

ضعف الإيمان

فإن ضعف الإيمان هو من أسباب التغيير والتحول عن فعل الخير والصلاح، كما أنه سبب رئيس للوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات، كما أنه سبب رئيس في التكاسل عن الطاعات والعبادات، وطريق الغفلة عن الله ﷻ وعن ذكره ودعائه ﷻ.

وضعف الإيمان سببه الابتعاد عن الأجواء الإيمانية، فالابتعاد عن الخير وأهله مدعاة لضعف الإيمان في النفس، يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]، ويقول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فانظر كيف جعل المولى ﷻ البعد عن أهل الصلاح والخير سبباً من أسباب الميل إلى الدنيا وزينتها، التي هي سبب رئيس لضعف الإيمان، وقسوة القلب.

ولذلك نرى أن نبينا حثنا على تقوية إيماننا فقال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**»(١).

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٢) برقم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولما كان ضعف الإيمان هو من أسباب التغيير، كان لا بد على المؤمن أن يقوي إيمانه ولا يغيِّر الخير الذي كان عليه، ويغفل عن ربه وعن أوامره ونواهيه، قال رسول الله ﷺ: «**ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضيء إذ علته سحابة فأظلم؛ إذ تجلت عنه فأضاء**»(١).

وهذا التجلي يكون بالدواء والعلاج الذي أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله: «**إن الإيمان ليَخلق في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ الثوب؛ فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»(٢).

فعلى العبد المؤمن أن يلجأ إلى ربه بأن يجدد ويقوي الإيمان في قلبه، ويثبته عليه حق يلقاه.

ومن أعظم العلاج لضعف الإيمان، القرآن الكريم، تلاوةً وتدبراً وعملاً، فقد أخبر الله ﷻ أنه شفاء فقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فهو علاجٌ من أمراض الشهوات، كما أنه علاجٌ من أمراض الشبهات.

وكذلك من أنفع العلاج لضعف الإيمان، محاسبة النفس، فهي نافعة في تجديد الإيمان، والرجوع إلى الرحيم الرحمٰن، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]. فإذا تذكر الإنسان أنه مسؤول ومحاسب على كل شيء في يوم لا تخفى على الله فيه خافية، رجع إلى ربه وقوي إيمانه به.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٥٢٢٠) عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال العلامة الألباني: حسن.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم (٥) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (١٥٩٠).

ومن أهمل وترك المحاسبة لنفسه، وتمادى في البعد عن ربه، هلك وتردى حاله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والمقصود: ذكر علاج مرض القلب باستيلاء النفس الأمارة عليه، وله علاجان: محاسبتها، ومخالفتها، وهلاك القلب من إهمال محاسبتها، ومن موافقتها واتباع هواها»(١).

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٧٨).

المبحث الثالث

أسباب التغيير المشتركة

السبب الأول

التربية والتعليم

إن الكلام عن التربية والتعليم، هو الكلام عن أبرز أسباب التغيير والتبديل، سواء كان هذا التغيير نحو الفضائل أو نحو الرذائل، وذلك بحسب المربي، ونوع التربية، وأساليبها، ولذا كان للآباء والأمهات والأسرة، الأثر الأكبر في تغيير وتبديل الأولاد إلى بستان الصلاح، أو إلى مستنقع الفساد، وكذا المعلم له الأثر البالغ في التغيير والتبديل للطلاب الدارسين عليه، وكم نسمع ونرى من أنفسنا أو من غيرنا جوانب مشرقة من الخير والأخلاق الفاضلة، كان السبب في إنتاجها وزرعها فينا الوالدان أو المعلمون، وقد أشار إلى ذلك نبينا محمد ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه: يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**»[1].

فالآباء والمعلمون يتركون الأثر البالغ في نفوس القائمين عليهم من الأبناء والطلاب، فهذا نبينا ﷺ وهو خير معلم ومربي قد ترك الأثر

(١) رواه البخاري برقم (١٣٨٥)، ومسلم برقم (٢٦٥٨).

البالغ في نفوس المتعلمين من أصحابه رضي الله عنهم، حتى قال أنس رضي الله عنه: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لمَ صنعت، ولا ألا صنعت(١).

وكذا أثر تعليم النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابي معاوية بن الحكم السلمي حيث قال رضي الله عنه: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله، ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»(٢).

لذا كان من الواجبات العظيمة على الآباء والمعلمين، أن يزرعوا الخير والصلاح والقيم والأخلاق الفاضلة في قلوب الأبناء والمتعلمين، وأن يصححوا ما علق بهم من المخالفات، وأن ينقوهم من الشوائب والأخطاء والزلات، وأن يكونوا عوناً لطلابهم على ترك ذلك كله، حتى يتم التغيير الذي أراده الله تعالى منهم، فينشأ جيلٌ فريدٌ، ينفع الأمة في جميع مجالاتها.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٠٣٨).

(٢) رواه مسلم برقم (٥٣٧).

السبب الثاني

البيئة المحيطة بالإنسان

فإن الكلام عن البيئة هو الكلام عن المكان الذي نشأ فيه الإنسان وترعرع فيه؛ ولذا كانت البيئة لها الأثر البالغ في تغيير وتبديل الأفراد والمجتمعات، سواء كان هذا التغيير نحو الصلاح، أو نحو الفساد، فأنت ترى الولد يتأثر ببيئته المحاطة به من الوالدين والإخوان والجيران؛ بل قد يبلغ هذا التأثير بأن يغير الفطرة التي يخلق المولود عليها، كما في قول النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**». وللبيئة تأثير أيضاً على الطباع والأخلاق، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سكن البادية جفا...**»[(١)]؛ أي: يتأثر بالبداوة التي من طباعها الشدة والقساوة، ولذا من كان في بيئة يكثر فيها القبائح والرذائل يجب عليه مغادرتها والبعد عنها؛ لكي لا يتجرأ على ارتكابها والوقوع فيها، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس**

(١) رواه أحمد برقم (٣٣٦٢)، وأبو داود برقم (٢٨٥٩)، والترمذي برقم (٢٢٥٦)، قال العلامة الألباني: صحيح. عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء...»[(١)].

فقوله ﷺ بأن العَالـمَ قال: «**انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء**».

فيه: أن يُغيِّر البيئة التي فيها المعاصي؛ لكي لا تتوق نفسه للقتل والمعاصي.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والإخوان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم»[(٢)].

وهكذا يجب على المسلم أن يبتعد عن كل بيئة تكون سبباً في تسهيل الذنوب والمعاصي له؛ حتى يلقى الله تعالى بعيداً عن المحرمات قريباً من الطاعات.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٦٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٨٣).

السبب الثالث

الصحبة والرفقة

لا يختلف اثنان في أن الصحبة والرفقة لها الأثر الكبير في تغيير حال الإنسان، سواء كان هذا التغيير نحو الخير والصلاح، أو نحو الشر والفساد، ـ والعياذ بالله ـ، وذلك بحسب الصحبة والرفقة التي يعاشرها الإنسان. وقد قيل: «الصاحب ساحب».

وقد وصف نبينا الكريم ﷺ الصاحب السيء بأقبح الأوصاف؛ لما فيه من التأثير لتغيير الإنسان إلى السوء والفساد، كما أنه وصف ﷺ الصاحب الصالح بأجمل الأوصاف؛ لما فيه من التأثير الطيب نحو الصلاح والخير، فقال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء: كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة**»(١).

لذا يجب على الإنسان أن يختار لنفسه الرفقة الصالحة، والصحبة الطيبة كما يختار أطايب الطعام، وكما يختار حذاق الأطباء عند مرضه؛ حتى لا تكون سبباً في هلاكه وشقائه.

وقد أمرنا نبينا ﷺ باختيار الصحبة التي تعيننا على الخير والصلاح، وحذرنا من الصحبة السيئة التي تُردي بالإنسان إلى المهالك،

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٢١٤) ومسلم برقم (٢٦٢٨).

فقال ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[١].

ورحم الله القائل:

إذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

ويكفي من الدلائل في كونه سبباً من أسباب التغيير والتبديل، الواقع المؤلم الذي يعاني منه كثير من الأسر ممن تردى أبنائهم؛ بسبب الرفقاء السيِّئين، والأصحاب الفاسدين، الذين أرْدوا بأولادهم وأبنائهم إلى المهالك ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

والله تبارك وتعالى يأمر نبيه ﷺ وهو سيد الخلق بمرافقة أصحابه الصالحين، وألا يصحب غيرهم؛ لعظيم أثر الصحبة في تغيير الإنسان، فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]. وهذا الأمر في حق نبي الأمة ﷺ المعصوم من ربه تبارك وتعالى، فكيف بغيره من العباد، فالأمر فيهم أوجب؛ لعظيم تأثير الصحبة على الصالحين فضلاً على غيرهم.

(١) رواه أبو داود برقم (٤٨٣٥)، والترمذي برقم (٢٣٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه العلامة الألباني.

السبب الرابع

الإعلام

إن الكلام على الإعلام هو الكلام عن أشمل أسباب التغيير وأوسعه، لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة، سواء كان هذا الشمول لأنواعه، أو لأدواته ووسائله؛ فبالإعلام تغيَّر الحقائق، وتبدَّل الشخصيات، فالطيب يصير خبيثاً، والخائن يصير مؤتمناً صادقاً، والمجرم يصبح حنوناً وديعاً، قال الله تعالى عن أحد هؤلاء الهالكين الملبسين: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

ومن نظر في استخدام الإعلام قديماً وحديثاً يجد أنه قد سُلط على محاربة الإسلام في كثير من مجالاته، فكان له التأثير البالغ على كثير ممن صُدَّ عن الدين، وعن النبي الكريم ـ عليه الصلاة وأتم التسليم ـ، وقد مرَّ في قصة الطفيل بن عمرو الدوسي أنه قال ﵁: «فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً؛ فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قول النبي ﷺ. . .».

فانظر إلى هذه الرعب الذي قذفه الإعلام في نفس الطفيل، مع أنه كان من أعقل الناس وكبراءهم.

بل أثَّر الإعلام على المسلمين أنفسهم، ويظهر هذا التغيير جليّاً على ملبسهم، وقصات شعرهم، وكلامهم، وتعاملهم، والله المستعان.

وقد أطلق الإعلام قذائف التهم والإشاعات لطمس معالم الحق وصوره المشرقة من وقت مبكر جدّاً، فقالوا في الرسول ﷺ: كاهن، وشاعر، وساحر، وهذا قلب لحقيقة الصدق والأمانة التي اتصف بها نبينا ﷺ، والتي كانت راسخة في نفوس العرب قبل البعثة، ولكنه الإعلام الفاجر والآثم.

وفي المقابل إذا نظرنا إلى الجانب المشرق في الإعلام رأينا فيه نشر الفضائل، ومحاربة الرذائل، وبث الحق في الخلق، وتصوير الإسلام بالصورة التي هو عليها، فكان له الدور الكبير، فكم من فَهِمَ الإسلام على حقيقته بسبب موقف أو خلق أو فلم تعريفي عن الإسلام بثَّ ونُشر عبر الإعلام، وكم من داخل للإسلام بسبب كلمة مؤثرة، وكم من تائب رجع من غيِّه بسبب خطبة صادقة، وكم من عِلمٍ نُشر فأنتج عملاً مباركاً نافعاً، بسبب قنوات ومواقع إلكترونية، وكم درس ومحاضرة وصلت إلى أقصى العالم، حيث لا يوجد علماء أو فقهاء. فما أعظم الإعلام إذا كان لنشر تلك الفضائل، وما أضره إذا سُخِّر في محاربة الخير ونشر الرذائل.

ومع ذلك كله لا بد أن نعلم علم يقين أن الخير باقٍ ودين الله محفوظ، فلا نجزع أو نفزع، ولكنَّ العمل مطلوب، وإعداد الإعلام الهادف مرغوب، لتتم سُنَّة مدافعة الخير للشر، قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ

يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

ويمكن أن يقال: بأن من الإعلام ما يُحذر ويُتقى، ومنه ما يُؤخذ ويُتلقى.

السبب الخامس

الفراغ

الكلام عن الفراغ هو الكلام عن سلاح ذو حدين، فإن الفراغَ إن لم يُستغل ويُغتنم كان من أعظم أسباب التغيير نحو الانحراف، والوقت إن لم يُوظَّف توظيفاً صحيحاً، انقلب على صاحبه بآثار سيئة لا تحمد عقباها، ويكون فجوة نحو التغيير للانحراف عن صراط الله تعالى. قال الأول:

إنّ الفراغَ والشبابَ والجِدَةْ مَفْسَدةٌ للمرء أيُّ مَفسدةْ

فعند الفراغ يأتي الشيطان بالأفكار المنحرفة، ويجد متسعاً لتصوير الفاحشة، ويزين كل قبيح ومعصية، ولذا كان الفراغ من أسلحة الشيطان التي بها يغوي الإنسان، ويحيد بهم عن الصراط المستقيم، ويُغيِّر لهم الطريق القويم.

والإنسان العاقل هو الذي يشغل نفسه، ويغتنم وقته وفراغه بما يعود عليه بالنفع والخير الدنيوي والديني والأُخروي، فقد قال النبي ﷺ: **«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**[(١)].

ولتعلم أخي المؤمن أن الله تعالى سائلك عن هذا الفراغ الذي هو جزء من عمرك، ماذا قدمت فيه من الأعمال، قال النبي ﷺ: **«لا تزول**

---

(١) رواه الحاكم برقم (٧٨٤٦)، والبيهقي في الشعب برقم (١٠٢٥٠) صحيح.

قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[(١)].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الذين وهبهم الله فراغاً فعصوا به ربهم، وخالفوا به أنبيائهم، فقال الله تعالى مذكراً ومقرعاً لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

وكما أن الفراغ من أعظم أسباب التغيير نحو الانحراف، فكذلك الفراغ يعد من أعظم أسباب التغيير نحو الخير والصلاح، وذلك إذا استغلَّ واغتنمَ فيما ينفع، قال النبي ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**»[(٢)].

فسمى الفراغ نعمة، وذلك إذا اغتنم فيما ينفع، وإلا كان نقمة على صاحبه.

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله مبيناً الغبن في الصحة والفراغ: «قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا ـ الصحة والفراغ ـ فغلب عليه الكسل عن الطاعة، فهو المغبون»[(٣)].

وبذلك يُعلم أن الفراغ سلاحٌ ذو حدين، فإن شُغل الفراغ بالخيرات والطاعات، غيَّر صاحبه إلى كل حسن وجميل، ونال به المغفرة والرضوان، وإن شُغل بالمعاصي والطغيان غيَّر صاحبه لكل قبيح وسيء، ونال به الشقاء والخسران.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٤١٦)، والطبراني برقم (٩٧٧٢) حسن.
(٢) رواه البخاري برقم (٦٤١٢).
(٣) فتح الباري (١١/ ٢٣٠).

ورحم الله الإمام الشافعي حين قال: «ونفسك إن لم تشغلها بالحق، وإلا شغلتك بالباطل»(١).

فينبغي عليك أخي المؤمن أن تملأ فراغك بما ينفعك في حياتك وآخرتك، سواء كان ذلك الشغل بالخير كحفظ القرآن ومراجعته، والدعوة إلى الله، ومجالسة الصالحين، والدروس والدورات العلمية، أو بأعمال وأشغال الدنيا التي تُكوِّن بها نفسك، وتعول به أسرتك.

قال عبد الله بن مسعود ﵁: «إني أكره أن أرى الرجل فارغاً، لا في عمل دنيا ولا آخرة»(٢).

ورحم الله القائل:

اغتنم في الفراغ فضلَ ركوعٍ فعسى أن يكون موتكَ بغتهْ
كم صحيحٍ رأيتَ من غيرِ سقمٍ ذهبتْ نفسهُ العزيزةُ فلتهْ

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٢٩).
(٢) رواه الطبراني برقم (٨٤٦٠).

الفصل الخامس

الأمثلة على التغيير

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أمثلة التغيير للشخصيات والأفراد؛ ويشتمل على تسعة أمثلة.

المبحث الثاني: أمثلة التغيير للأقوام والمجتمعات؛ ويشتمل على ستة أمثلة.

توطئة

إن الأمثلة على كلا النوعين كثيرة ومتنوعة في الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة، وكذلك في كتب التاريخ والسير والتراجم، ولم تكن الأمثلة مقتصرة على الأفراد والشخصيات؛ بل كانت شاملة لتغيير الدول والمجتمعات.

وسنبدأ بذكر أمثلة لتغيير الأفراد والشخصيات الذين غيروا وبدلوا ما عندهم من المعاصي والذنوب بأنواعها وأشكالها، وأقبلوا على ربهم بالطاعات والقربات.

كما سأذكر أمثلة على من غيَّر وبدَّل ما عنده من الإيمان والخير والصلاح، بالكفر والشر والفساد، ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

❁❁❁

المبحث الأول

أمثلة التغيير للشخصيات

قاتل المائة نفس

إن من أعظم ما عصي الله تعالى به بعد الإشراك به، هو قتل النفس التي حرمها الله تعالى، فقد أخبر الله تعالى عن عقاب هذا الجرم الشنيع بقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]. وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلَقَك**» قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «**وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**»(١).

ومع عظيم هذا الذنب وشناعته، إلا أنه قد فتح الله تعالى التوبة والتغيير منه، فقد جاء قصة القاتل المقبل على الله تعالى، الذي أخبر عنه النبي ﷺ فقال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى**

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٧٧)، ومسلم برقم (٨٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»(١).

فأنت ترى هذا العبد قد سئم المعاصي والذنوب، وأراد أن يغيِّر هذا الجرم العظيم، واستبداله بعبادة الخالق، فأقبل على مولاه، وطلب مغفرته ورضاه، فنال ما أراده من التغيير، وفاز بمغفرة العلي الكبير.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٦٦).

بِلعام بن باعوراء

قد أخبرنا ربنا عن قصة بِلعام بن باعوراء الذي كان مستجاب الدعاء، فأبى إلا الذل والهوان، فقال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وذلك يوم أن بعث نبيُ الله موسى عليه السلام بلعام بن باعوراء إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله، وكان مجاب الدعوة، وكان من علماء بني إسرائيل، فكان موسى يقدمه في الشدائد، فأقطعه ملك مدين وأرضاه، فترك دين موسى عليه السلام، وتبع دين ملك مدين.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥][(١)].

فانظر كيف استبدل وغيَّر الخير الذي وهبه الله وحباه، فترك دين موسى عليه السلام، ولهث خلف الدنيا، ورضي بالهوان، فكان الجزاء أن خسر الدنيا والآخرة.

ثمامة بن أثال

إن أعظم المعاصي على الإطلاق، الشرك بالله، وهو أن تجعل لله تعالى مثيلاً ونظيراً في عبادته، أو في ربوبيته، أو في أسمائه وصفاته فالشرك بالله أعظم الذنوب على الإطلاق، كما قال النبي ﷺ حين سأله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أي الذنب أعظم عند الله؟ فقال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»(١).

ومن أمثلة من غيَّر وبدَّل هذا الذنب العظيم إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى ثمامة بن أثال رضي الله عنه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي يا محمد، خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعطَ منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعطَ منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعطَ منه ما

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٦١) ومسلم برقم (٨٦).

شئت، فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله، ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل أصبوت؟ فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ(١).

فانظر إلى هذا التغيير الذي تمثل في أمور منها:

١ ـ ترك الشرك واعتناق الإسلام.

٢ ـ الحب الشديد للنبي ﷺ والدين بعد أن كان أبغض شيء إليه.

٣ ـ قوة إسلامه حيث أعلن به بين كفار قريش.

❊❊❊

(١) رواه مسلم برقم (١٧٦٤).

الطفيل بن عمرو الدوسي

إن من أمثلة التغيير إلى طريق الصلاح والخير، ما مرَّ من قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، الذي كان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش، وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه.

فقال رضي الله عنه: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً؛ فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة.

قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله.

قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمياه، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ **الحسن من القبيح**، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي: كذا وكذا، للذي قالوا. قال: فوالله، ما برحوا بي يخوفونني أمرك، حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرك. قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليَّ القرآن، فلا والله، ما

سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق[1].

(١) السيرة النبوية لابن كثير (ص٧٢).

عمرو بن العاص

إن من نماذج الشخصيات الذين غيَّروا وبدَّلوا حياة الشرك والكفر بالإيمان والتوحيد والطاعة، عمرو بن العاص رضي الله عنه، وذلك عندما نصحه النجاشي ملك الحبشة، فعن حبيب الثقفي قال: حدثني عمرو بن العاص رضي الله عنه من فِيهِ فقال: «لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً، وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن تلحقوا بالنجاشي فتكونوا عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا لرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأُدم ـ الجلود المدبوغة ـ، فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه. فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول الله.

قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت إليَّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، قد

أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر، الذي كان يأتي موسى لتقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذلك؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خلفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم ـ مثل يضرب للأمر الواضح ـ وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، حتى متى؟! قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم، وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمرو، بايع فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها**».

قال: فبايعته، ثم انصرفت(١).

---

(١) رواه أحمد برقم (١٧٨١٢)، وانظر: تاريخ دمشق (٤٦/ ١٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٦٠). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

الفضيل بن عياض

إن من الأمثلة على التغيير والتبديل من حياة المعاصي والذنوب، والبعد عن الله ﷻ، الفضيل بن عياض الذي كان شاطراً[(١)] يقطع الطريق بين أبِيْوَرْد[(٢)] وسَرخس[(٣)]، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]. فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلة[(٤)]، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم:

---

(١) قال ابن فارس رحمه الله: الشين والطاء والراء أصلان، يدلُّ أحدهما على نِصف الشيء، والآخر على البُعد والمواجهة... ومنه قولهم: شَطَرَ فلانٌ على أهله، إذا تركهم مُراغماً مخالِفاً. **والشَّاطر**: الذي أعيا أهلَه خُبْثاً. وهذا هو القياس؛ لأنَّه إذا فَعل ذلك بعُد عن جَماعَتِهم ومُعظَم أمرِهم. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/١٨٦).

(٢) أَبِيْوَرْد: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة، وفتح الواو وسكون الراء ودال مهملة، أبيورد مدينة بخراسان بين سرخس ونسا، وبئة رديئة الماء، يكثر فيها خروج العرق. معجم البلدان للحموي (١/٨٦).

(٣) سرخس: بفتح أوله وسكون ثانيه، وفتح الخاء المعجمة وآخره سين مهملة، ويقال: سرخس بالتحريك والأول أكثر، مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، بينها وبين كل واحدة منهما ست مراحل. معجم البلدان للحموي (٣/٢٠٨).

(٤) السابلة: هي السكة المسلوكة، وتطلق على الجماعة المختلفة في الطرقات في حوائجهم. أساس البلاغة (١/٤٠٩)، وتاج العروس (١٢/٢٠٤)، والمصباح المنير (ص١٣٩).

حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا. قال ففكرت، وقلت: «أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللَّهُمَّ إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مُجاورة البيت الحرام»[١].

فانظر إلى ذلك التغيير من الفضيل رَحِمَهُ اللهُ، الذي أنتج مجاورة لبيت الله الحرام، ثم صار عالماً عابداً زاهداً، فلا تيأس أن تُغيِّر ما عندك من النقائص، لتصنع مستقبلاً مليئاً بالخير والنجاح.

❀❀❀

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٣).

سعد بن معاذ

ابتدأ هذا التغيير لسعد بن معاذ رضي الله عنه يوم جاء مهدداً ومتوعداً مصعب بن عمير رضي الله عنه، الذي بعثه النبي ﷺ داعياً لقوم سعد، فلما رأى أسعد بن زرارة ـ وكان قد أسلم ـ، سعد بن معاذ، قال له: يا ابن خالة، استمع من قوله، فإن سمعت منكراً فاردده بأهدى منه، وإن سمعته حقّاً فأجب إليه، فقال: ماذا تقول؟ فقرأ عليه مصعب بن عمير رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ١ ـ ٣]، فقال سعد بن معاذ: ما أسمع إلا ما أعرف، فرجع سعد بن معاذ، وقد هداه الله، ولم يُظهر لهما إسلامه حتى رجع إلى قومه، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام، وأظهر لهم إسلامه[1].

***

(١) السيرة لابن حبان (ص١٠٥)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٤٣١).

المرتد عن دين محمد

الرجل الذي حباه الله بالإسلام، وكان كاتباً للوحي من فيِّ النبي ﷺ، ومع هذا الفضل والمنقبة والشرف الذي وهبه الله إياه، كفر وارتدَّ عن الإسلام، فلم تقبله الأرض وترابها، فكيف بخالقه وخالقها!، وهذا هو الخسران المبين، وذلك يوم أن يُغيِّر الإنسان الإيمان والخير والصلاح، بالكفر والشر والفساد، يقول أنس رضي الله عنه: كان رجل نصرانيّاً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيّاً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه؛ لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا؛ لما هرب منهم، فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه[1].

فانظر كيف غيَّر وبدَّل الإيمان وشرف كتابة الوحي، ورضي بالكفر والكذب والبهتان، فنال جزاءه في الدنيا قبل الآخرة، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٧]؛ أي: أشدّ ألماً وأدوم من عذاب الدنيا[2].

(١) رواه البخاري برقم (٣٦١٧).
(٢) أضواء البيان (٤/ ١٣٠).

الشاب العابد المجاهد المنتكس

ما قصه لنا عبدة بن عبد الرحيم عن الشاب العابد المجاهد، قال: دخلنا بلاد الروم، وكان معنا شاب يقطع نهاره بقراءة القرآن والصوم، وليله بالقيام، وكان من أعلم الناس بالفرائض والفقه، فمررنا بحصن، نُؤمر أن نقف عليه، فمال إلى ناحية الحصن، ونزل عن فرسه يبول، فنظر إلى من ينظر فوق الحصن فرأى امرأة فأعجبته، فقال لها بالرومية: «كيف السبيل إليك؟» فقالت: «هين؛ تتنصر، فنفتح لك الباب، وأنا لك». ففعل ودخل الحصن، فنزل بكل واحد منا من الغمِّ ما لو كان ولده من صلبه، ما كان أشد عليه. فقضينا غزاتنا فرجعنا، فلم نلبث إلا يسيراً حتى خرجنا إلى غزوة أخرى، فمررنا بذلك الحصن، فإذا هو ينظر إلينا مع النصارى، فقلنا: يا فلان، ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صومك وصلاتك؟! فقال: أُنسيت القرآن كله، حتى لا أحفظ منه إلا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٢، ٣][(١)].

وحسبنا بهذه الأمثلة، التي بها العظة والعبرة، ومن قرأ وفتش في السُّنَّة النبوية، والكتب والتراجم، يرى أنها كثيرة جدّاً، فلا يجمعها باب، ولا يحويها كتاب.

---

(١) انظر: شعب الإيمان برقم (٤٠١٠)، ومختصر تاريخ دمشق (٢١٠٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١١٧٦).

المبحث الثاني

أمثلة التغيير للمجتمعات

قوم يونس

لم يقتصر التغيير والتبديل على الأفراد والشخصيات؛ بل شمل الأقوام والمجتمعات، ومن هؤلاء: ما قصه الله تعالى من توبة قوم يونس بن متىَّ ﷺ بقوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨]. فقد بعث الله يونس ﷺ إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله ﷻ فكذبوه وتمردوا بكفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث، فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم، قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجوا إلى الله ﷻ وصرخوا وتضرعوا إليه، وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء، والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة، فكشف الله العظيم، بحوله وقوته، ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٢٧).

فأنت ترى كيف هؤلاء القوم غيَّروا وبدَّلوا ما عندهم من عصيان ربهم ونبيهم، فقبل الله منهم التوبة، وأسدل عليهم النعمة، وكشف عنهم العذاب الذي كاد أن يحلَّ بهم.

قوم سبأ من أهل اليمن

ومن أعظم تلك الأمثلة ما قصه الله تعالى عن أولئك الذين غيروا نعمة الله كفراً، وهم قوم سبأ من أهل اليمن، الذين أخبر الله عنهم ما يفوق الخيال، في وصف ما كان عندهم من النعيم والجمال، فكانت آية، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧].

فقد ذكر غير واحد من السلف رضي الله عنهم: أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار، وعلى رأسها مكتل أو زنبيل ـ وهو الذي تخترف فيه الثمار ـ، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة، ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه، وكان هذا السدُّ بمأرب، ـ بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ـ، ويعرف بسدِّ مأرب، وذكر آخرون: أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب، ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء، وصحة المزاج، وعناية الله بهم؛ ليوحدوه ويعبدوه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ ثم فسرها بقوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾؛ أي: من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾؛ أي: غفور لكم إن استمررتم على التوحيد. لكنهم ﴿فَأَعْرَضُوا﴾؛ أي: عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة

الشمس من دون الله[١].

فكان الجزاء الذي هو من جنس عملهم وكفرهم فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧﴾.

فنعوذ بالله من زوال النعم، وحلول النقم.

❁❁❁

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٤٣).

أصحاب الأخدود

من النماذج في تغيير المجتمعات ما وقع لأصحاب الأخدود الذين آمنوا برب الغلام، فكان ذلك التغيير للشرك والكفر الذي عاشه أولئك القوم واستبدلوه بنور الإيمان والتوحيد، ولكن نالهم الضرُّ في ذات الله تعالى، فعوضهم الله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار، فقال سبحانه مخبراً عن قصتهم: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: ٤ ـ ١١].

وقد فصل النبي ﷺ في قصة إسلام أصحاب الأخدود، وكيف غيَّروا وبدَّلوا الكفر والشرك الذي كانوا عليه، بالإيمان بالله تعالى، فعن صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم**

آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً، فقال: اللَّهُمَّ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللَّهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللَّهُمَّ اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا

وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدَّتْ وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق»[١].

فانظر كيف عوَّض الله هؤلاء خيراً وفوزاً كبيراً، وهو جنات تجري من تحتها الأنهار، وانتقم من عدوهم وهددهم بإحراقهم في نار جهنم، إذا لم يتوبوا ويُغيِّروا ما هم عليه من الكفر بالله تعالى.

كل تلك الكرامات التي أعطاهم الله إياها يوم أن قالوا: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

لم يكن بينهم وبين النعيم الذي نالوه، إلا أن غيَّروا وبدَّلوا ما كانوا عليه، إلى الإيمان بالله الرحيم الكريم سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٠٠٥).

أصحاب السبت

وهذا التغيير الذي وقع به أصحاب السبت، كان تغييراً لأمر الله تعالى، فقد غيروه بعدم الامتثال له، والتحايل عليه، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣].

وهذه القرية هي أيلة(١) وكانت على شاطئ بحر القلزم.

فإن هؤلاء القوم غيروا ما أُمروا به، فغيَّر الله تعالى عليهم حالهم، وعاقبهم على تحايلهم على أمره؛ لأنه تعدي على أمر الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، فقال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾؛ أي: واسأل يا نبي الله، هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله، ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، فقد كانوا يحتالون على حبس الحيتان في يوم السبت في حفائر، ويصطادونها بعده، وكما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء، لإظهار السمك على ظهر الماء في اليوم المحرم

---

(١) أيلة بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء بعده، قال أبو زيد: «أيلة مدينة صغيرة عامرة، بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير». معجم البلدان (١/ ٢٩٢)، وآثار البلاد وأخبار العباد (ص٦٠).

عليهم صيده فيه، وإخفائه عليهم في اليوم المحلل لهم فيه صيده؛ كذلك نختبرهم بسبب فسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها[1].

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٧٩)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣١٣).

بنو عبد الأشهل
قوم سعد بن معاذ

يبتدأ هذا التغيير بإسلام سعد بن معاذ ـ سيد بني الأشهل ـ حين تلى عليه مصعبُ بن عمير رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ١ ـ ٣]، فنزل في بني تيم على أسعد بن زرارة، فجعل يدعو الناس سرّاً، ويفشو الإسلام ويكثر أهله، وهم مع ذلك شديد استخفاؤهم، ثم إن أسعد بن زرارة ـ وهو أبو أمامة ـ أقبل هو ومصعب بن عمير حتى أتيا بئر بني مرق فجلسا هنالك، وبعثا إلى رهط من الأنصار فأتوهما مستخفين، فبينما مصعب بن عمير يحدثهم ويقص عليهم القرآن، أُخبر به سعد بن معاذ، ويقول بعض الناس بل أسيد بن حضير، فأتاهم في لأمته معه الرمح حتى وقف عليهم، فقال لأبي أمامة: علام تأتينا في دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد؟ يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه، لا أراك بعدها تسيء من جوارنا، فقاموا ورجعوا، ثم إنهم عادوا مرة أخرى لبئر بني مرق أو قريباً منها، فذكروا لسعد بن معاذ الثانية، فجاءهم فتواعدهم وعيداً دون وعيده الأول، فلما رأى أسعد بن زرارة منه ليناً، قال له: يا ابن خالة، استمع من قوله، فإن سمعت منكراً فاردده بأهدى منه، وإن سمعته حقّاً فأجب إليه، فقال: ماذا تقول؟ فقرأ عليه مصعب بن عمير: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ١ ـ ٣]، فقال سعد بن معاذ: ما أسمع إلا ما أعرف، فرجع سعد بن معاذ، وقد

هداه الله ولم يظهر لهما إسلامه حتى رجع إلى قومه، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام، قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون رأيي فيكم وأمري عليكم؟، قالوا: أنت خيرنا رأياً، قال: فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم علي حرام، حتى تؤمنوا بالله وحده، وتشهدوا أن محمداً رسول الله، وتدخلوا في دينه، فما أمسى من ذلك اليوم في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أسلم(١).

فانظر كيف قوم بني عبد الأشهل غيَّروا وبدَّلوا ما هم عليه من الشرك ودخلوا في دين الله تعالى وآمنوا بنبيه ﷺ.

❀❀❀

(١) السيرة لابن حبان (ص١٠٥) ودلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٤٣١).

كفار قريش

ومن الأمثلة على تغيير وتبديل الأقوام والمجتمعات: ما قصه الله علينا بقوله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]. قال بعض أهل العلم: إن هذا مثل ضربه الله لأهل مكة، فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، ورحلة الصيف كانت إلى الشام، وكانت تأتيهم من كلتا الرحلتين أموال وأرزاق؛ ولذا أتبع الرحلتين بامتنانه عليهم: بأن أطعمهم من جوع؛ وقوله في دعوة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ [البقرة: ١٢٦] وقوله: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]، ولما لجوا في الكفر والعناد، ودعا عليهم رسول الله ﷺ، وقال: «**اللَّهُمَّ اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف**»، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء، حتى أكلوا الجيف والعلهز ـ وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه ـ، وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن؛ وذلك الخوف من جيوش رسول الله ﷺ وغزواته، وبعوثه وسراياه(١).

وغيرها من الأمثلة، ومن أبرزها تغيير وتبديل جيل الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا عليه في الجاهلية، فأصبحوا جيلاً فريداً، مصابيح هدى، يقتدى بهم في جميع مجالات الحياة.

---

(١) أضواء البيان (٢/٤٥٦).

الفصل السادس

الآثار المترتبة على التغيير

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الآثار الطيبة؛ ويشتمل على أحد عشر أثراً.

المبحث الثاني: الآثار القبيحة؛ ويشتمل على عشرة آثار.

توطئة

إن الآثار التي تترتب على التغيير تختلف بحسب نوع التغيير الذي يطرأ على الإنسان، وقد جعلت هذا الفصل لذكر الآثار المترتبة على النوع الأول، وهو التغيير من القبيح إلى الحسن.

ثم الآثار المترتبة على النوع الثاني، وهو التغيير من الحسن إلى القبيح، ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

وذلك أن بمعرفة الآثار المترتبة على نوعي التغيير يجعل الإنسان ينشط على أن يغيِّر ويبدِّل القبيح بالحسن، ثم يرتقي لما هو أحسن، ويثبت على ما هو عليه من التوحيد والإيمان والصلاح والأخلاق، ويخاف على نفسه من تغيير ذلك الخير الذي حباه الله به، بينما غيره منغمسٌ في ظلمات الشرك والكفر والعصيان ورذائل الأخلاق، ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

المبحث الأول

الآثار الطيبة المترتبة من تغيير القبيح بالحسن

إن من الأشياء التي ينتجها التغيير من القبيح إلى الحسن، تلك الآثار الطيبة التي يجنيها العبد الذي غيَّر وبدَّل الأشياء التي لا يحبها الله تعالى ولا يرضاها: كالشرك بالله، والكفر به، والمعاصي بأنواعها، إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه: كالتوحيد والإيمان، والطاعات بأنواعها، والأخلاق الفاضلة، وهذه الآثار كثيرة جدّاً، وحسبي أن أذكر أهمها وأعظمها، مما يجعلنا نشتاق أن نُغيِّر تلك الأخطاء التي تعلق بنا، ونبدل ذلك التقصير الذي يلاحقنا في أيامنا ولياليـنا.

وما عليك إلا أن تقرأ تلك الآثار الطيبة لتشتاق نفسك للتغيير، إلى كل حسن وخير.

الأثر الأول

الفوز برحمة الله تعالى ومغفرته

فكل واحد منا يريد أن يفوز برحمة الله ومغفرته، ولكن يبقى السؤال، هل غيَّرت وبدَّلت تلك المعاصي التي تمارسها، حتى تنال ما أردت وتمنيت.

فإن القاتل مائة نفس التي مرت قصته، لمَّا غيَّر وبدَّل نال رحمة الله ومغفرته، وأخذته ملائكة الرحمة.

وقد دلت الآيات الكثيرة على هذا الأثر، من ذلك قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النمل: ١١]. وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]. وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

فكل هذه الآيات وغيرها مما لم تذكر تدلُّ دلالة واضحة على أن الله تعالى يغفر ويرحم المغيرين المقبلين عليه بعد العصيان، والتائبين إليه بعد الطغيان.

ومما يدلنا على أن التغيير والانتقال إلى ما عند الله تعالى وإلى ما أراده الله، يترتب عليه الغفران والرحمة من الله سبحانه، ما جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً

لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إليَّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنتُ من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال «**ما لك يا عمرو؟**». قال قلت: أردت أن أشترط، قال: «**تشترط بماذا؟**». قلت: أن يغفر لي، قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**»(١).

فانظر أخي المسلم كيف جعل الله تعالى التوبة والهجرة والحج، سبباً في نيل مغفرته ورحمته، فاحرص أن تكون من أهل هذه الطاعات، لتنال الرحمات، من رب الأرض والسماوات.

❁❁❁

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٦)، ومسلم برقم (١٢١).

الأثر الثاني

تبديل السيئات إلى حسنات

يدل على هذا الأثر ما جاء عن الصحابي أبي طويل الكندي[(١)] رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها، ولم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال ﷺ: «**فهل أسلمت؟**». قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: «**تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن**». قال: وغدراتي وفجراتي، قال: **نعم**، قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى[(٢)].

ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠].

فقد صرح جل وعلا في هذه الآية، أن الذين يزنون ومن ذكر معهم إن تابوا وآمنوا، وعملوا عملاً صالحاً يبدِّلُ الله سيئاتهم حسنات[(٣)].

---

(١) شطب الممدود أبو طويل الكندي، قال ابن السكن: يقال له صحبة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٤٩).

(٢) رواه الطبراني برقم (٧٢٣٥). قال العلامة الألباني: إسناده جيد قوي. انظر: صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣١٦٤).

(٣) أضواء البيان (٥/ ٤٢٧).

الأثر الثالث

كشف ورفع العذاب والهلاك

ويظهر هذا الأثر جليّاً في قصة قوم نبي الله يونس بن متى عليه السلام مع قومه، وذلك لما غيَّروا وبدَّلوا ما كانوا عليه من عصيان نبيهم، فآمنوا بربهم وتابوا إلى خالقهم، قبلهم الله الرحيم، وكشف عنهم العذاب الأليم، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

وظاهر آية أنهم آمنوا إيماناً حقّاً، وأن الله عاملهم به معاملة المؤمنين، وذلك في قوله في يونس: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٤٧ ـ ١٤٨](١).

فانظر كيف أنهم يوم أن غيَّروا ما هم عليه إلى الإيمان بربهم، كشف الله عنهم العذاب الذي كان سيحلُّ بهم.

❁❁❁

(١) أضواء البيان (٥/ ٣٣٣).

الأثر الرابع

نيل رضى الرب تبارك تعالى

فإن من ترك ما يسخط ويغضب الرب سبحانه وتعالى؛ كالشرك والكفر والمعاصي، وانتقل إلى ما يرضي الله تعالى؛ كالتوحيد والإيمان والطاعات، فإنَّ الله يرضى عنه.

ومما يدلنا على ذلك: حديث الثلاثة: الأقرع، والأبرص، والأعمى، وفيه أنه قال: «**أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك**»(١).

ومن ذلك: لما ترك الصحابة الكرام ما كان عليه من أمر الجاهلية، وأقبلوا على الله وما أمرهم به من التوحيد والإيمان والطاعات، ورأى صدقهم وحسن تغييرهم رضي الله عنهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فقد صرح تعالى في هذه الآية الكريمة: بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان، أنهم داخلون معهم في رضوان الله تعالى، والوعد بالخلود في الجنات، والفوز العظيم(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٦٤)، ومسلم برقم (٢٩٦٤).

(٢) أضواء البيان (٢/ ١٤٨).

الأثر الخامس

مصير المُغيِّـر للحسن الجنَّة

وهذا اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، أن من مات موحداً، وقد ترك الشرك والكفر، فإن مصيره الجنة، وإن عُذِّبَ في نار جهنم بسبب ذنوبٍ عملها، فلا يخلد فيها؛ لتوحيده لله تعالى، وهذا الذي يجب أن يُعتقد.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويعتقد أهل السُّنَّة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها، إن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة، سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه»[(١)].

ومما يدلنا على ذلك: ما جاء في الحديث القدسي قال الله تعالى: **«يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيك بقرابها مغفرة»**[(٢)].

❁❁❁

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٧١ ـ ٧٢).

(٢) رواه أحمد برقم (٢١٤٧٢)، والترمذي برقم (٣٥٤٠). قال العلامة الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة برقم (١٢٧).

الأثر السادس

سلامة البدن وصحة العقل

فإن بالطاعات عموماً، وبالبعد عن الحرمات، تُحفظ الأجسام والعقول.

قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك**»[١]؛ أي: احفظ الله في فعل أوامره واجتناب نواهيه، يكون لك حافظاً في سمعك، وبصرك، وعقلك، وجميع جوارحك، في الدنيا والآخرة.

وما شرع الله الأذكار والأدعية، إلا لحفظ عباده المسلمين الطائعين لأمره تعالى، فيكون العبد ذاكراً لربه، ويكون الرب حافظاً لعبده.

ومن أمثلة تلك الأدعية والأذكار الحافظة للمسلم أن يقول: (اللَّهُمَّ عافني في بدني، اللَّهُمَّ عافني في سمعي، اللَّهُمَّ عافني في بصري، لا إلٰه إلا أنت، تعيدها ثلاثاً حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً)[٢].

ومنها: أن يقول: (اللَّهُمَّ إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ إني أسألك العافية في ديني وأهلي، واستر عورتي، وآمن روعتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن يساري، ومن فوقي، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي)[٣].

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٧٦٣)، والترمذي برقم (٢٥١٦). قال العلامة الألباني: صحيح.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٠١)، وأحمد برقم (٢٠٤٣٠)، وأبو داود برقم (٥٠٩٢) قال العلامة الألباني: حسن الإسناد.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٦٩٨)، وابن ماجه برقم (٣٨٧١). قال العلامة الألباني: صحيح.

وغيرها من الأدعية والأذكار التي جعلها الله سبباً لحفظ أجساد وعقول المسلمين المستقيمين على دينه وشرعه، المحافظين على ذكره ﷻ.

وأعرف من مشايخنا من جاوز مائة عام ولم يسقط له سن، وهو صحيح الجسد والعقل، فلما سألنا أبناءه عن سر ذلك، قال: هذا من أثر العلم النافع والعلم الصالح.

وقد ذكر البجيرمي عن بعض شيوخه: أن القاضي أبا شجاع عاش مائة وستين سنة، ولم يختل عضو من أعضائه، فقيل له في ذلك؟ فقال: «ما عصيت الله بعضو منها، فلما حفظتها في الصغر عن معاصي الله حفظها الله في الكبر»[١].

❀❀❀

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب الشربيني (١/ ٢٢).

الأثر السابع

محو السيئات

فإن الله تعالى قرر هذا الأمر في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

يقول الله تعالى: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة[١].

ومن ذلك ما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[٢].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «لما كان العبد مأموراً بالتقوى في السر والعلانية، مع أنه لا بد أن يقع منه أحياناً تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات، أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره بأن يفعل ما يمحو به هذه السيئة، وهو أن يتبعها بالحسنة»[٣].

ومما يدل على أن الحسنات يُذهبنَ السيئات ما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يذنب ذنباً، فيتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، ويستغفر الله إلا غفر الله له**»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٢).
(٢) رواه أحمد برقم (٢١٣٥٤)، والترمذي برقم (١٩٨٧). قال الشيخ الألباني: حسن.
(٣) جامع العلوم والحكم (ص١٦٣).
(٤) رواه ابن ماجه برقم (١٣٩٥)، قال الشيخ الألباني: حسن.

وكذا ما جاء عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

فكل هذه الأدلة من القرآن والسُّنَّة تدلُّ على أن الحسنات يمحو الله بها السيئات، فاحرص أخي الحبيب على جمع الحسنات، بفعل الطاعات والقربات.

❀❀❀

(١) رواه البخاري برقم (١٥٩)، ومسلم برقم (٢٢٦).

الأثر الثامن

نيل محبة الله تعالى

فإن من ارتقى في سماء الفضائل، وسعى إلى التغيير نحو الأحسن والأكمل، نال محبة الله تعالى، كما أخبر الله ـ سبحانه ـ في الحديث القدسي: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**»(١).

قال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: «لأن التقرب بالنوافل يكون تلو أداء الفرائض، بدليل أنها ذكرت بعد ذكر الفرائض؛ يعني: إذا أدام العبد التقرب بالنوافل أفضي ذلك إلى أن يحبه الله»(٢).

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(٣).

وهذا الحبُّ الذي ناله العبد، إنما كان بتحقيق العبودية لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لقوله: (أحبَّ عبداً).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/٣٠٣).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٢٠٩).

الأثر التاسع

ظهور الكرامات

إن من غيَّر حياته إلى ما يريده الله تعالى منه، فإن الله تعالى يهبه من العطايا والهبات والكرامات ما يكون له من المثبتات على ما هو عليه من الخير والصلاح، وبهذا جاءت بعض الأدلة التي تبين هذه الحقيقة، ومن ذلك ما جاء من قصة أصحاب الأخدود حين أمر الملك بالأخدود في أفواه السكك فخدَّتْ، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: «يا أمه اصبري فإنك على الحق»[(١)].

فانظر كيف أجرى الله تعالى تلك الكرامة، فأنطق الطفل الرضيع مثبتاً أُمَّه على الحق، فقال لها: «يا أمه، اصبري فإنك على الحق».

ولما غيَّر سعد بن معاذ رضي الله عنه حياة الشرك والكفر، وأنتج ذلك التغيير أن أسلم جميع قومه ـ بنوا الأشهل ـ على يديه، وهبه الله تعالى كرامة عظيمة ـ اهتزاز عرش الرحمٰن لموته ـ فقد جاء عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ**»[(٢)].

ومن نظر في أحوال المغيرين إلى الخير والصلاح، وجد كثيراً من الكرامات التي أجراها الله على أيديهم، تثبيتاً لهم، وعبرة لغيرهم.

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٠٠٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٨٠٣)، ومسلم برقم (٢٤٦٦).

الأثر العاشر

حلول البركة

يقول الله تعالى في حال من غيَّر حياة الكفر بالإيمان: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]؛ أي: ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم، واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه، ولكنهم كذَّبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم(١).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

فقد رتب إرسال السماء عليهم مدراراً على استغفارهم، وهذا يدل على أن الاستغفار والتوبة والعمل الصالح، قد يكون سبباً في تيسير الرزق، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث: «**من أراد أن ينسأ له في عمره، ويوسع له في رزقه، فليصل رحمه**»(٢).

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦]؛ أي: ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزِل عليك أيها الرسول ـ وهو القرآن الكريم ـ لرُزِقوا من كلِّ سبيلٍ، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر،

---

(١) التفسير الميسر (٣/ ٥٧).

(٢) أضواء البيان (٨/ ٣٠٧).

وهذا جزاء الدنيا[١].

فكل هذه الآيات تدلُّ على أن من غيَّر إلى ما يريده الله تعالى منه، فتح له من البركات والأُعطيات ما لم يكن في الحسبان، وذلك لأنه الكريم الرحمٰن.

❁❁❁

(١) التفسير الميسر (٢/ ٢٤٠).

الأثر الحادي عشر

العزة والتمكين

فإن الله تعالى أخبرنا في القرآن الكريم بأن بالإيمان والعمل الصالح يكون التمكين في الأرض، فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

فدلَّ على أن طاعة الله بالإيمان به، والعلم الصالح، سبب للقوة والاستخلاف في الأرض، ونفوذ الكلمة(١).

ومن نظر في جيل الصحابة ﭫ، ظهر له جليّاً أن الله تعالى مكَّنهم وأعزهم بالإيمان به، واتباع شرعه ونبيه ﷺ، فكانوا سادة الدنيا، وأخضع الله لهم ملوك الدنيا، كل ذلك بما معهم من الإيمان والطاعة للرحيم الرحمٰن.

ويخبر ربعي بن عامر ﭬ عن هذه العزة والتمكين حين سأله رستم قائد الفرس: ما جاء بكم؟ فقال ربعي بن عامر ﭬ: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه؛ لندعوهم إليه»(٢).

(١) أضواء البيان (٥/ ٥٥٣).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٩).

وهنا يصور لنا أمير المؤمنين العزة والتمكين، لمن آمن برب العالمين فيقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نتلمس العز بغيره»[١].

❀❀❀

(١) رواه ابن أبي شيبة برقم (٣٣٨٤٧)، والزهد لهناد (٨١٧)، والسلسلة الصحيحة برقم (٥١).

المبحث الثاني

الآثار القبيحة المترتبة على تغيير الحسن بالقبيح

كما أن العبد الذي غيَّر القبيح بالحسن يجني الآثار الطيبة، فكذلك العبد الذي غيَّر وبدَّل الحسن بالقبيح، فإنه يجني الآثار القبيحة، والنتائج السيئة، وما ذلك إلا لأن الجزاء من جنس العمل، فهذا حاله كما قال الأول: «يداك أوكتا وفوك نفخ». وأحسن منه قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وهذا من كمال عدل الله سبحانه وتعالى، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١]. فإن من الظلم أن يسوى المغيرين إلى الطاعات بالمغيرين إلى السيئات، كما قال رب الأرض والسماوات: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

وعلى ذلك سأذكر أعظم تلك الآثار المؤلمة، التي يجنيها ذلك العبد الذي غيَّر الحسن بالقبيح.

الأثر الأول

نزول العذاب والهلاك

ويدل على ذلك ما جاء عن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون أن يغيِّروا فلا يغيرون، إلا أصابهم الله بعقاب**»[1].

وهذا يشمل كل من غيَّر ما كان عليه من التوحيد والإيمان والصلاح والأخلاق الحسنة، ورضي بالشرك بالله، والكفر، ومحاربة الصلاح والمصلحين، ومن أدلة ذلك: قصة بلعام بن باعوراء الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦ ـ ١٧٨].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾ [الشعراء: ٦٩] أي: اقرأ عليهم، ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]؛ أي: كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعدًا عنها، ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]؛ أي: لحقه وأدركه، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥] أي: من الضالين غير المهتدين، الهالكين غير الناجين[2].

---

(١) رواه أحمد برقم (١٩٢٥٣)، وأبو داود برقم (٤٣٣٨)، وابن ماجه برقم (٤٠٠٩). قال الألباني: صحيح.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٦٢).

ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

فكل من غيَّر الحسن بالقبيح، ناله ذلك العذاب، إلا أن يتداركه الله برحمته ومغفرته.

الأثر الثاني

تبديل النعم بالنقم والمصائب

يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقول الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: ١٦].

فلا تحرم نفسك النعم؛ بسبب تغييرك الخير والفضائل، والذهاب للشر والرذائل.

الأثر الثالث

نيل سخط الرب وغضبه

يدل على ذلك حديث الثلاثة: الأقرع، والأبرص، والأعمى، فبعد اختبار الله لهم، والذي فشل فيه الأقرع والأبرص، ونجح فيه الأعمى، وكان جوابه موفقاً حيث قال: قد كنت أعمى، فرد الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله، لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك(١).

وهؤلاء اليهود لما غيروا وبدلوا ما أُمروا به، وذلك أنهم كانوا لا يتناهون عن المنكر الذي نهاهم الله عنه، ففعلوه وارتكبوه، فقال الله تعالى عنهم: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٧٩ ـ ٨٠].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٦٤)، ومسلم برقم (٢٩٦٤).

الأثر الرابع

دخول نار جهنَّم

وهذا حال من غيَّر وبدَّل التوحيد بالشرك، والإيمان بالكفر، ورضي بهما ومات عليهما، ـ والعياذ بالله ـ.

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨].

أي: غيَّروا نعمة الله عليهم في محمد ﷺ، حيث ابتعثه الله تعالى منهم، ﴿كُفْرًا﴾ كفروا به ﴿فأحلُّوا﴾؛ أي: أنزلوا، قومهم ممن تابعهم على كفرهم دار البوار الهلاك، ثم بيَّن البوار فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ المستقر[١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

فإن الله تعالى في هذه الآية يقسم بأن الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، قد كفروا بمقالتهم هذه، وأخبر تعالى أن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنتم في العبودية سواء. إنه من يعبد مع الله غيره فقد حرَّم الله عليه الجنة، وجعل النَّار مُستَقَرَّه، وليس له ناصرٌ يُنقذُه منها[٢].

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣٥٢).

(٢) التفسير الميسر (٢/ ٢٤٦).

الأثر الخامس

حِرمان رحمة الله ومغفرته

وذلك في حق من مات على الشرك والكفر بالله ـ والعياذ بالله ـ، فلن يغفر الله له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٣٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾ [النساء: ١٦٨].

فلا تكن من المحرومين رحمة الله تعالى، بتغييرك نحو الشر والفساد والمعاصي.

الأثر السادس

عدم التوفيق للتوبة والهداية

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٣٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾ [النساء: ١٦٨].

وقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٣].

ومن لم يوفقه الله تعالى كان من المخذولين، ومن لم يهده الله تعالى كان من الضالين.

الأثر السابع

الأضرار البدنية والعقلية

فإن مما لا يشك به عاقل، أن المعاصي والذنوب تضر بالأبدان والعقول، فأمراض الإيدز وغيره من الأمراض الفتاكة تكون عبر ممارسة الفواحش، وتعاطي التدخين والمخدرات، من أسباب الإصابة بالأمراض كالسرطان، والجلطات الدماغية، وكذا غيرها من المعاصي والذنوب التي تنتشر الأمراض والأسقام بسببها، ـ عافانا الله وجميع المسلمين منها ـ.

وقد أشار إلى ذلك نبينا ﷺ كما ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «... **لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم**»[١].

(١) رواه البيهقي في الشعب برقم (٣٣١٥) قال العلامة الألباني: صحيح لغيره.

الأثر الثامن

الضيق والضنك في الدنيا والآخرة

فإن أهل الكفر والمعاصي لا ينعمون في الدنيا ولا في الآخرة، وإن كانوا أهل غنى ومال وترف، فإن الحياة الحقيقة هي حياة الإيمان والعمل الصالح، فمن غيَّر وسلك غير هذا الصراط الذي أراده الله من خلقه وعباده، فلن يسعدوا أبداً، ولن يهنئوا بعيش ولو كانوا أغنى الخلق، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

أي: من خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، وأعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ أي: ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره؛ بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة»[(١)].

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٠٦).

الأثر التاسع

الحسرة والندامة يوم لا ينفع الندم

وذلك في يوم قال الله فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]. وهؤلاء لمَّا أقبلوا على الله تعالى بقلوب غير سليمة؛ بل فيها من ظلمات الشرك والمعاصي، التي أُمروا بتغييرها فلم يفعلوا، كان الجزاء يوم القيامة، حيث تكون الحسرة والندامة، فقال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠، ١١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٨].

الأثر العاشر

الغِشاوة على القلب

وذلك أن الله تعالى يقول في حال أولئك الذين استهانوا بالطاعات وارتكاب المحرمات: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]؛ أي: غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمس بصائرهم، فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي[(١)].

وأكد النبي ﷺ هذا المعنى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة، نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»[(٢)].

فمن غيَّر الطاعة بالمعصية واستمر فيها علاه الران، وطبع على قلبه ـ والعياذ بالله تعالى ـ ومن تاب، تاب الله عليه.

ومن استبدل وغيَّر الخير الذي كان عليه، بما حرمه الله تعالى، فقد توعده الله تعالى بالطبع على قلبه ـ والعياذ بالله تعالى ـ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة، طبع الله على قلبه**»[(٣)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (٣/ ٢٩٥).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٣٣٤). قال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١٦٥٧)، وابن ماجه (١١٢٦). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

الفصل السابع

نماذج قادهم التغيير إلى الجنة

توطئة

إن من أعظم النعم أن يوفق الله تعالى العبد إلى مرضاته، فيكون في حياته طائعاً لربه، متبعاً لنبيه ﷺ، وكذلك من النعم أن يوفق إلى موتة طيبة، وهو الاستعمال الذي أخبر عنه النبي ﷺ فقال: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله**، قالوا: وكيف يستعمله؟ قال: **يوفقه لعمل صالح قبل موته**»(١).

فتكون حياته ومماته كلها طيبة، فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ، من ذكر أو أنثى، من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت(٢).

ثم ماذا ينتظر أمثال هؤلاء الذين كانوا تحت رعاية الله في الدنيا، فوفقهم وسددهم وأعانهم، ثم هم في الآخرة ينعمون في الجنان، ويحلُّ عليهم الرضوان، ثم يفوزوا بالنظر إلى وجه الكريم الرحمٰن، فما أعظمه من نعيم، وليس بعده تنعيم.

---

(١) رواه أحمد برقم (١٢٠٣٦)، والترمذي برقم (٢١٤٢)، قال الشيخ الألباني: صحيح.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧١٢).

ولذا فقد أحببت أن أذكر نماذج ممن قادهم التغيير إلى جنات النعيم، فصاروا قناديل يضيئون الطريق للسائرين إلى ربهم الرحيم، فهم نبراس لمن أراد السير على الطريق المستقيم.

وإنما ذكرت بعض النماذج لأشحذ الهمم، نحو التغيير للخير والصلاح ومعالي الأخلاق والشيم، وأعيد المجد والعزَّ لمن رضي بالدون وانهزم، فما زال هناك من يتطلع صعود القمم، وأن يكون في أعلى الهرم؛ بل ويشار إليه بالبنان بأنه نار على علم.

فكم من مذنبٍ حَسُنَ حاله، ورجع إلى ربه، وغيرَّ وبدَّل تلك المعاصي بالحسنات، وثبت على الخير حتى الممات، فدخل في رحمة الله وأُسكن الجنات.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «... **فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة...**»[١].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٣٢)، ومسلم برقم (٢٦٤٣) واللفظ للبخاري.

الشهداء

هؤلاء نموذج قادهم التغيير إلى جنة العلي الكبير، فلا يزال هؤلاء يُغيِّرون من حالهم إلى الأحسن حتى استشهدوا في سبيل الله تعالى، وباعوا النفس الغالية في مرضات الله تعالى، فكانوا من أهل النعيم المقيم، في جنة الله الرحيم الكريم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة** فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **يقاتل هذا في سبيل الله** عز وجل **فيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم، فيقاتل في سبيل الله** عز وجل **فيستشهد**»(١).

قال أهل العلم: إن القاتل الأول كان كافراً وتوبته المذكورة في هذا الحديث إسلامه، قال الله عز وجل: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾ [الأنفال: ٣٨] وفي هذا الحديث دليل على أن كل من قتل في سبيل الله، فهو في الجنة لا محالة إن شاء الله(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم برقم (١٨٩٠).

(٢) التمهيد (١٨/ ٣٤٤).

السابقون في الخيرات

إن من الناس من اقتصر على فعل الفرائض التي أمر الله تعالى بها في كتابه الكريم، أو على لسان رسوله ﷺ، فكان من المفلحين الفائزين، فقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»، قال: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**»[(١)].

فإذا كان هذا حال المؤمن المقتصر على الفرائض، فقل لي بربك، من أتى بالفرائض وزاد عليها بالنوافل والمستحبات، فما يكون له من النعيم؟! وهكذا يجب أن يكون المؤمن يُغيِّر من حاله الحسن إلى الأحسن والأفضل، يقول ربنا سبحانه في حال أولئك: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[(٢)].

ومن أمثال أولئك الخلق أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أحد الذين زكت

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٩٧)، ومسلم برقم (١٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٠٢).

أنفسهم وعلت همتهم، فكان مثالاً للتغيير إلى الأحسن والأفضل في فعل الطاعات، والمسابقة في الخيرات، فقاده ذلك بأن يكون من أهل الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في أمريء إلا دخل الجنة**»(١).

قال العلامة القرطبي رحمه الله: «ولما أخبره أبو بكر رضي الله عنه أنه فعل تلك الأمور كلها في ذلك اليوم، بشَّره بأنه من أهل الجنة لأجل تلك الأمور»(٢).

ومن أولئك النماذج الذين غيَّروا من حالهم بعد إسلامهم بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه فترقى في سماء الأعمال والطاعات، وفاق بعض أقرانه ببعض القربات والعبادات، حتى قاده ذلك إلى الجنة، فقال النبي ﷺ: «**يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة**». قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي(٣).

❀❀❀

(١) رواه مسلم برقم (١٠٢٨).
(٢) المفهم (٢٠/٣).
(٣) رواه البخاري برقم (١١٤٩).

أصحاب الأخدود

أولئك الذين ابتلوا في ذات الله تعالى فعذبوا بالحريق، فهانت عليهم أنفسهم في ذات لله تعالى، وذلك يوم أن قادهم التغيير إلى الإيمان بالله تعالى، وخالط قلوبهم، فلم يقدموا عليه أهلاً ولا نفساً ولا حياة، فعوضهم الله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار.

أولئك هم أصحاب الأخدود الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: ١٠، ١١].

فهم الذين أخبر عنهم النبي ﷺ بأنهم أعلنوا إيمانهم في وجه الملك الطاغية، فقالوا: «آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأمر الملك بالأخدود في أفواه السكك فخدَّتْ وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق»(١).

فلم يكن بينهم وبين النعيم ودخول جنة الرب الرحيم، إلا أن غيَّروا وبدَّلوا ما كانوا عليه، بالإيمان بالله تعالى، وثبتوا عليه حتى لقوا ربهم.

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٠٠٥).

امرأة فرعون

ومن أولئك الذين قادهم التغيير إلى الجنَّة، امرأة فرعون: تلك المرأة التي آمنت بربها، فما كان من فرعون إلا أن أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة قالت: «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة» فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء، وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، فلم تجد ألماً[1].

فقال الله تعالى عنها: ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١].

(١) تفسير البغوي (٨/ ١٧١).

الفصل الثامن

خطوات تقودك للتغيير

ويشتمل على عشر خطوات.

توطئة

هذه بعض الخطوات المعينة لك أخي الحبيب، إن أردت التغيير؛ حتى تلحق بركب أهل التغيير الفائزين، الذين ما زالوا يغيرون ويتقدمون في مراتب الدين، وفضائل الأخلاق وآداب السالكين، وهم المعنيون بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧١]، وإياك أن تتخلف عنهم فتندم، يوم لا ينفع الندم، وحينئذٍ ستقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧٣﴾ [النساء: ٧٣].

وقد جعلت لك أخي الحبيب عشر خطوات للتغيير والتقدم نحو الفضائل والخير، فأرني همتك العالية، ولا تكن من المخذولين المتكاسلين، الذين لم يتقربوا من رب العالمين، ووقعوا في شباك الشياطين، وخسروا الخسران المبين.

الخطوة الأولى

إرادة قوية، وصدق نية، فهي المحرك نحو التغيير لكل عمل فيه خير، قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»(١).

فالنية الصالحة أساس التغيير، وبها يصل العبد إلى ما أراده العلي الكبير.

بل بالنية الصالحة تصلح الأعمال، وإن قصرت الأعمار والآجال، قال النبي ﷺ: «**من سأل الله الشهادة صادقاً؛ بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»(٢).

بل بالنية الصالحة ينال العبد الأجور، ويسابق به أهل الأموال والدثور، قال النبي ﷺ: «**مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل به في ماله فينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول: لو كان لي مثل ما لهذا، عملت فيه مثل الذي يعمل. فقال رسول الله ﷺ: فهما في الأجر سواء**»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) رواه أبو داود برقم (١٥٢٢)، والترمذي برقم (١٦٥٣) وابن ماجه برقم (٢٧٩٧). قال العلامة الألباني: صحيح.

(٣) رواه أحمد برقم (١٨٠٢٤)، وابن ماجه برقم (٤٢٢٨). قال العلامة الألباني: صحيح.

الخطوة الثانية

استعن بالله تعالى ولا تعجز، وتوكل على الله وبادر بالعمل، فإن الله تعالى خير معين لك، واعلم أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وبيده كل شيء وهو رب العالمين، ولا يطلب الشيء إلا من مالكه وهو الملك الكريم. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

ولذا قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام صغير؛ ليغرس فيه هذه العقيدة العظيمة، التوكل على الله والاستعانة به ـ جلَّ في علاه ـ: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله»**[١].

فاستعن بالله تعالى وقل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦].

إلٰهي ما سألت سواك عوناً   فحسبي العون من رب قدير
إلٰهي ما سألت سواك عفواً   فحسبي العفو من رب غفور
إلٰهي ما سألت سواك هدياً   فحسبي الهدي من رب بصير
إذا لم أستعن بك يا إلٰهي   فمن عوني سواك ومن مجيري

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

الخطوة الثالثة

القراءة في تراجم الأنبياء والعلماء الربانيين والمصلحين، فإن لها أثراً بالغاً في النفوس، فكم من رجع إلى ربه، وتغيَّر حاله، وحسنت حياته، بسبب قصة لنبي في القرآن قرأها، أو بترجمة لصالح اطلع عليها، أو بسيرة لعالم تأثر بها.

والله تعالى يقول: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]؛ أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك؛ لنثبت به فؤادك؛ لنزيدك يقيناً ونقوي قلبك[١].

قال بعض العلماء: «الحكايات جُنْدٌ من جنود الله، يُثبت الله بها قلوبَ العارفين من عباده»[٢].

وكان أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «الحكايات عن العلماء أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم»[٣].

وذلك لما فيها من إحياء النفوس اليائسة، وتنشيط القلوب البائسة.

❁❁❁

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢٠٧).
(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (ص٦).
(٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (ص٦).

الخطوة الرابعة

كن عالي الهمة دائماً وأبداً ولا ترضى بالدون، وعوِّد نفسك على الارتقاء للعلياء، وارتفع بهمتك إلى عنان السماء، وكن قمة في الأخلاق والدين؛ لتكون من أعظم المغيرين. «**إن الله ـ ﷻ ـ يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها**»(١).

فترفع عن الوقوع في الرذائل، وارتق في سماء الخير والفضائل.

ورحم الله القائل:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ   وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارمُ
وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها   وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ

❀❀❀

---

(١) رواه الحاكم برقم (١٥٣)، والطبراني في الأوسط برقم (٢٩٤٠)، قال العلامة الألباني: صحيح.

الخطوة الخامسة

لا تفوت على نفسك الفرصة، فإن الله تعالى أعطاك فرصاً يجب أن تغتنمها في التحسين والتطوير والتغيير؛ فالحياة فرصة، والعمر فرصة، والمال فرصة، والشباب فرصة، والفراغ فرصة، والصحة فرصة. فبادر قبل أن تسلب منك هذه الفرص إما بالموت، أو بالمرض، أو بحوادث الدنيا التي لا تنتهي.

وتذكر قول نبيك ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[١].

بادرِ الفُرصةَ واحذر فَوتها ... فَبُلُوغُ العزِّ في نَيلِ الفُرص
واغتنم عُمْرَكَ إبانَ الصِبا ... فهو إن زادَ مع الشيبِ نَقَصْ
فابتدر مسعاك، واعلم أنَّ من ... بادرَ الصيدَ مع الفجرِ قنص

(١) رواه الحاكم برقم (٧٨٤٦)، والبيهقي في الشعب برقم (١٠٢٥٠) صحيح.

الخطوة السادسة

تحلى بالصبر ومجاهدة النفس، وإياك والتواني والرجوع للخلف، وامض قدماً نحو الأمام، واصبر في السير على طريق التغيير، نحو الفوز برضوان الله العلي الكبير، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وثق بالله تعالى، واعلم أن بالصبر، ومجاهدة النفس على التغيير، تصل إلى مرادك بإذن الله العزيز القدير، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

تعز بحسن الصبر عن كل هالك ... ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة ... سلوت على الأيام مثل البهائم
وليس يذود النفس عن شهواته ... من الناس إلا كل ماضي العزائم

الخطوة السابعة

اعلم أنك مسؤول أمام الملك العظيم الجبار عن كل صغيرة وكبيرة عملتها أو قلتها فماذا أنت قائل؟! ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

ولا حجة لك بين يدي الله تعالى، قد أُعطيت القدرة على التغيير، ووهبت وسائل الانطلاق والتفكير، ومُنحت العمر والزمن الكبير، وأُمددت بالنعم والشيء الكثير، فما قولك يوم تنصب أمام الملك الكبير؟ ويوجه لك السؤال حينئذٍ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤] فما هو المصير؟.

وقد أخبرك نبيك ﷺ عن هذه الحقيقة فقال: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم**»(١).

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حيٍّ
ولكنا إذا متنا بعثنا ويسأل ربنا عن كل شيٍّ

❊❊❊

(١) رواه الترمذي برقم (٢٤١٦)، والطبراني برقم (٩٧٧٢) حسن.

الخطوة الثامنة

لست وحدك على الطريق، فقد سار معك في طريق التغيير: الأنبياء والمرسلون والعلماء والمصلحون، فغير طريق الشقاء واسلك طريق السعداء لتكون مع هؤلاء ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

وإذا كنت برفقة هؤلاء، فارفع رأسك وافرح وافتخر، فقد جاء الأعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، متى الساعة؟. فقال: «**وما أعددت لها**»؟. قال: ما أعددت من كبير إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: «**المرء مع من أحب**».

قال أنس رضي الله عنه: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام، أشد مما فرحوا يومئذٍ[١].

❀❀❀

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٥٢). قال العلامة الألباني: صحيح.

الخطوة التاسعة

تمعن وانظر في الآثار التي يجنيها المغيرون للأحسن والأفضل.

أما يكفيك أخي أن تنال رضى الله تعالى ومغفرته؟ أما يكفيك ما أعده الله تعالى لك إذا سلكت طريق الإيمان والطاعة والخير، وغيَّرت طريق المعاصي والذنوب؟ يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧][1].

وكذلك تمعن وانظر في الآثار التي يجنيها المغيرون لقبيح الفِعال، وسيئ الأقوال، وكيف نالهم أليم العقاب، وغضب عليهم رب الأرباب.

فذلك أحرى بأن يجعلك تلحق بركب المغيرين، نحو حسن الفعال وجميل الأقوال، ومعالي الأخلاق والخصال.

❊❊❊

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

الخطوة العاشرة

فلتكن قدوة طيبة لأمتك، ولأولادك وأهلك وأقاربك، كن مثالاً يحتذى به في أفعاله وتصرفاته؛ بل كن نوراً تضيء للناس، ومعلماً يقتدي بك المتعلمون، وقبساً يهتدي بك السائرون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وأسأل الله تعالى أن يجعلك من المصلحين الهداة المهتدين؛ لتكون قدوة صالحة لغيرك في طريق التغيير، نحو كل بر وصلاح وخير: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

الخاتمة

وفي الختام لا يسعني إلا أن أحثَّ نفسي وإخواني المسلمين عموماً، بأن نسعى إلى التغيير الذي أراده الله تعالى منا، فالله سبحانه أراد لعباده الخير والصلاح، كما قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧].

فعلى الإنسان ألا يقف دون تبديل وتغيير، ويرضى بحاله التي هو عليها من التفريط والتقصير، فإن بالتغيير إلى ما أراده الله تعالى، نُعتق أنفسنا من عقاب الله وسخطه وناره، وفي حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها**»[1].

ومن جاهد نفسه على التغيير نحو الخير والصلاح، فالله تعالى يعينه ويوفقه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأختم بما بدأت به من روائع الكلم، للعلامة ابن القيم، وهو يتكلم عن التغيير وعدم التوقف عن تصحيح المسار والأخطاء التي يقع بها العبد المسلم، حيث قال رحمه الله: «ليس في الشريعة ولا في الطبيعة توقفٌ البتة، فإذا شغل العبد وقته بعبودية، تقدَّم إلى ربِّه، وإن شغله هوى أو راحة أو بطالة، تأخر؛ فالعبد لا يزال بين تقدم وتأخر؛ قال الله

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٣).

تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٧]»[١].

بل إن من خير عباد الله تعالى من يُغيِّر ويحدث توبة بعد معصية، واستغفاراً عقب زلل، كما جاء عن خير الأنبياء والرسل ﷺ أنه قال: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[٢].

فوصفهم بالخيرية مع خطئهم، بشرط التغيير والتبديل، وذلك بإحداث توبة بعد ذلك الخطأ والزلل.

وإني أشكر شيخنا الأستاذ الدكتور خالد بن علي المشيقح ـ حفظه الله تعالى ـ على ما قام به من التقديم لهذا الكتاب؛ فنسأل الله تعالى أن يكتب أجره، ويرفع قدره.

كما إني أشكر إخواني الفضلاء الأعزاء الذين قاموا على مراجعة الكتاب؛ فأسأل الله الكريم الوهاب، أن يجزهم عظيم الأجر والثواب.

والله أسأل أن تكون هذه السطور دافعة للتغيير، إلى كل صلاح وبر وخير، وإلى ما يحبه الله سبحانه ويرضاه، وأن يردَّنا إليه ـ جلَّ في علاه ـ، ردّاً جميلاً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه

أبو عبد الله

منار بن أحمد بن فارع العدني

الداعية بالمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالجبيل

١٤٣٨/١/٢٠هـ

---

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية (ص١٩٣).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه برقم (٤٢٥١) عن أنس بن مالك. قال العلامة الألباني: حسن.

المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣ ـ **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٤ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار الجيل، بيروت.

٥ ـ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، المؤلف: أحمد بن محمد المقري التلمساني شهاب الدين المحقق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري.

٦ ـ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تأليف: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: عبد الحفيظ شلبي، وسعيد أحمد أعراب، ومحمد بن تاويت، وعبد السلام هراس، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات المتحدة، الرباط، سنة النشر: ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

٧ ـ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٨ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، المؤلف: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، المحقق: عادل مرشد، سنة النشر: ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٩ ـ **الإسلام والحضارة الغربية**، تأليف: د. محمد بن محمد حسين، الناشر: دار الفرقان.

١٠ ـ **البداية والنهاية**، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت.

١١ ـ **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: محمود حسن، الناشر: دار الفكر.

١٢ ـ **تفسير الماوردي، المعروف بالنكت والعيون**، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣ ـ **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

١٤ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، المؤلف: عبد الرحمٰن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٥ ـ **التفسير الميسر**، المؤلف: عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٦ ـ **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧ ـ **التعريفات**، المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨ ـ **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي.

١٩ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، اسم المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

٢٠ ـ **تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص**، المؤلف: سيد حسين العفاني، الناشر: دار معاذ بن جبل، دار العفاني.

٢١ ـ **التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ**، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم.

٢٢ ـ **جامع البيان في تأويل القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٢٣ ـ **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.

٢٤ ـ **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٥ ـ **حُصُونُنا مهدَّدة من دَاخِلِهَا**، المؤلف: محمد بن محمد حسين، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٦ ـ **حاشية البجيرمي على الخطيب الشربين**، المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢٨ ـ **الديباج على مسلم**، مؤلفه: الحافظ عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان.

٢٩ ـ **الدر المنثور**، المؤلف: عبد الرحمٰن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٣٠ ـ **دلائل النبوة**، تأليف: الإمام البيهقي، تحقيق: وثق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور عبد المعطى قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث.

٣١ ـ **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، شرح: الإمام المحدث عبد الرحمٰن السهيلي، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمٰن الوكيل، دار النشر: دار الكتب الإسلامية، سنة الطبع ١٩٦٧م.

٣٢ ـ **الرحيق المختوم**، المؤلف: صفي الرحمٰن المباركفوري، طبعة دار السلام.

٣٣ ـ **سنن النسائي الكبرى**، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمٰن النسائي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤ ـ **سنن ابن ماجه**، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، الناشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٥ ـ **سنن البيهقي الكبرى**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الناشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٣٦ ـ **السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير**، المؤلف: الحافظ جلال الدين السيوطي، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، رتَّبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، الناشر: دار الصديق، توزيع مؤسسة الريان.

٣٧ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، المؤلف: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، دار النشر: دار المعارف، البلد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٨ ـ **سبل السلام**، المؤلف: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المحقق: عصام الصبابطي، عماد السيد، طبعة دار الحديث.

٣٩ ـ **سنن أبي داود**، المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٤٠ ـ **السيرة النبوية**، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٤١ ـ **السيرة النبوية**، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل.

٤٢ ـ **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تأليف: الإمام أبي حاتم محمد بن حبان، الناشر: الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٤٣ ـ **سير أعلام النبلاء**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، المحقق: مجموعة محققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٤٤ ـ **شعب الإيمان**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥ ـ **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**، تأليف: أنور الجندي، طبعة المكتب الإسلامي.

٤٦ ـ **صحيح الأدب المفرد**، المؤلف: البخاري، الألباني، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة الدليل، سنة النشر: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٧ ـ **صحيح مسلم**، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٨ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

٤٩ ـ **عقيدة السلف أصحاب الحديث**، المؤلف: الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني، دراسة وتحقيق: ناصر بن عبد الرحمٰن بن محمد الجديع (رسالة دكتوراه)، النشر: دار العاصمة الرياض.

٥٠ ـ **الغارة على العالم الإسلامي**، أ.ل. شاتليه، ترجمة مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، طبعة منشورات العصر الحديث.

٥١ ـ **الفوائد**، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٢ ـ **الفروق في اللغة**، المؤلف: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكري، المحقق: جمال عبد الغني مدغمش.

٥٣ ـ **فقه السيرة**، المؤلف: محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة، مصر.

٥٤ ـ **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت.

٥٥ ـ **معالم التنزيل (التفسير اللغوي)**، المؤلف: محيي السُّنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٦ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية، لبنان، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٥٧ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٥٨ ـ **المستدرك على الصحيحين**، المؤلف: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩ ـ **المعجم الكبير**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

٦٠ ـ **مسند الشاميين**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٦١ ـ **المفُهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، المؤلف: الإمام أبو العبَّاس أحمد بن عمر بن إبراهيم، الأنصاريُّ القرطبيُّ، المحقق: محيي الدين ديب مستو وجماعة، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

٦٢ ـ **المصباح المنير**، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية.

٦٣ ـ **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.

٦٤ ـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٥ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية.

٦٦ ـ **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، المؤلف: محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، المحقق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الفكر.

٦٧ ـ **معجم البلدان**، المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٦٨ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الخامس
الأمثلة على التغيير

الموضوع الصفحة

الفصل السادس
الآثار المترتبة على التغيير

الموضوع | الصفحة